إبراهيم بن محمد أبو عوباة

عند السحر

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى ١٤١٢هـ-١٩٩١م

الناشر

مكتبة العبيكان

الرياض - طريق الملك فهد مع تقاطع العروبة

ص.ب ٦٦٧٢ الرمز ١١٤٥٢

هاتف ٤٦٥٤٤٢٤ - فاكس ٤٦٥٠١٢٩

بسم الله الرحمن الرحيم

طبع بشركة العبيكان للطباعة والنشر ـ الهاتف : ٤٩٨٣٣٩٢ ـ الرياض

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم. . وبعد. .

هذه موضوعات متفرقة تدور حول العبادات والمعاملات والأخلاق قدمتها في رمضان الماضي عبر إذاعة القرآن الكريم من خلال برنامج يومي اسمه «عند الفجر» وبعد انتهاء حلقات البرنامج اتصل بي بعض الإخوة مقترحين عليَّ جمع تلك الحلقات وإخراجها في كتب لتعم فائدتها وتتسع دائرة نفعها وكنت أعد الإخوة خيرا ولكنني لم اتخذ خطوات عملية نظرا لانشغالي الشديد بأمور أخرى ولكون العمل يحتاج إلى جهد ومراجعة إلا أن كثرة السؤال والإلحاح من بعض المحبين المخلصين دفعني إلى الإقدام ودفع تلك الحلقات إلى المطبعة.

وكما أشرت سابقا فإن موضوعات هذا الكتيب موضوعات متفرقة ولكنها تدور في فلك واحد ولا أظن أنني سأضيف جديدا فقد سبقني في تناول تلك القضايا علماء أفاضل قدامى ومعاصرين وقد أفدت مما كتبوه فجزى الله الجميع خير الجزاء.

وأخيرا . . فإني أسأل الله عـز وجـل أن ينفع بهذا الجهـد وأن يجعله خالصا وأن يتقبله مني ويجعلـه في ميزان حسناتي يوم ألقاه يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

كاتبه

إبراهيم بن محمد أبو عباة

١٧/ ١/ ١٤١٢هـ

(١) لعلكم تتقون

قال الله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا كُتِبَ عليكم الصيام كما كُتِبَ على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أيامًا معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون**﴾.

يستقبل المسلمون أول أيام شهر رمضان المبارك فيشعرون بسعادة عظيمة وروحانية غامرة ويعيشون في أجواء إيمانية عبقة، تهب نسائم هذا الشهر الكريم على المؤمنين فتزيدهم إيمانًا على إيمانهم حيث فرض الله على عباده المؤمنين صيام هذا الشهر لحكمة عظيمة وغاية كبرى، وهي أن يُعد الصائم نفسه لتقوى الله عز وجل ﴿**لعلكم تتقون**﴾ لأن في الصوم تزكية للبدن وتضييقًا لمسالك الشيطان كما أن فيه امتثالا لأمر الله عز وجل بترك الشهوات المباحة من طعام وشراب وجماع فإذا ما أدى المؤمن صيامه بنية خالصة محتسبًا الأجر والمثوبة من الله عز وجل فإنه بذلك يكون من المتقين الممتثلين لأمر الله المجتنبين نواهيه ومحارمه، فيكون الصوم بهذا أداة من أدوات التقوى، وطريقا من الطرق الموصلة إليها وقد بين المصطفى ﷺ أن الصوم حُصن للمؤمن من الوقوع في الشهوات وجُنة من النار. .

وكما أن اليسر والسهولة من مستلزمات هذا الدين . . ﴿**ما جعل الله عليكم في الدين من حرج**﴾ فإننا نرى ذلك واضحًا جليًا في هذا الركن العظيم من أركان الإسلام فلم يأمر المولى عز وجل عباده بالصوم الدهر كله بل فرضه «أياما معدودات» تخفيفًا من الله على المؤمنين ورحمة بهم وتيسيرًا عليهم . .

ويتجلى هذا اليسر في أوضح صوره في حال المرض والسفر حيث إن المريض والمسافر لا يصومان في حال المرض والسفر لما في ذلك من المشقة عليهما بل يفطران ويقضيان ما أفطراه من أيام في أيام أخر فيقضي المريض حين يصح ، والمسافر حين يقيم .

وهذا قمة الرأفة والرحمة والشفقة من المولى عز وجل بعباده المؤمنين وقد أكد الحق على هذا المعنى في السياق القرآني في الآية التالية : ﴿**يريد الله بكم اليسر، ولا يريد بكم العسر**. .﴾ .

وهذا شأنه عز وجل مع عباده في كل ما أمر به أو نهى عنه . .

علينا ونحن نستقبل هذا الشهر الكريم أن نبادر بالتوبة إلى الله عز وجل ، وأن نجتهد في التعرض لنفحات المولى الكريم

وأن نخلص لله أعمالنـــا وأن نحفظ صيـــامنـــا من الـــرفث والصخب، وأن نحقق غـاية الصـوم وفائدتـه لنفوز بـرضى الله ونحظى بعفوه وغفـرانه . . وقد صح عن الرسـول ﷺ أنه قال : «من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفـر له ما تقدم من ذنبه . . » متفق عليه .

(٢) شهر القرآن

قال تعالى: ﴿**شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه . .**﴾.

وقال ﷺ في الحديث الذي رواه أبو أمامة رضي الله عنه: «اقرؤا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه . .».

من سمات شهر رمضان أنه شهر القرآن فقد أنزل فيه القرآن هدى للناس وشفاء للمؤمنين يهدي للتي هي أقوم ويبين طريق وسبيل الرشاد أنزله الله رحمة للعالمين لكي يقرأه المسلم قراءة متأنية بتدبر وتأمل وأناة ﴿**أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها**﴾ ﴿**كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب . .**﴾.

ولكي يتفكر في معانيه يستجيب لأوامره ويقف عند نواهيه وزواجره ليكون له حجة عند ربه وشفيعًا له يوم القيامة . .

في هذا الكتاب العظيم خير الدنيا والآخرة ﴿**ما فرطنا في الكتاب من شيء . .**﴾. لمن تمسك به وسار على نهجه ولزم طريقه.

لقد كانت أخلاق المصطفى ﷺ وأقواله وأفعاله وكل تصرفاته ترجمة حرفية لمعاني القرآن الكريم ولهذا قالت عائشة أم المؤمنين

رضي الله عنها لما سئلت عن أخلاق الرسول صلوات الله وسلامه عليه: (كان خلقه القرآن) فقد كانت حياة الرسول ﷺ تفسيراً عملياً للقرآن الكريم.

وهكذا سار سلفنا الصالح رضي الله عنهم فقد كانت بيوتهم ومساجدهم وأسواقهم مملوءة بالساجدين والذاكرين والتالين لكتاب الله تسمع للقرآن فيها دويا كدوي النحل يبتغون بذلك الأجر والثواب من الله لعلمهم بما أعده الله لعباده الصالحين المواظبين على قراءة القرآن وتدبر معانيه والتفكر في مدلولاته.. يقول ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه..» فمعلم القرآن ومتعلمه في الخيرية سواء..

وقد تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه ألا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ﴿**فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى**﴾ وفي الوقت نفسه توعد المعرضين بوعيد شديد يقول تعالى: ﴿**من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزراً**﴾، ويقول: ﴿**ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى**..﴾ فواجب المسلم أن يتمسك بهذا القرآن فهو النور الذي يضيء طريق السالكين وذلك بأن يداوم على قراءته آناء الليل وأطراف النهار فإن له بذلك الثواب العظيم والأجر الكبير

والـدرجات العلى لـه ذلك بكل حـرف يقرؤه . والمهم أن تكـون قراءتـه بتدبر وتمعن وخـوف وخشية وتطبيق لكل ما يقـرأ؛ فقد كـان أصحـاب النبي ﷺ إذا تعلمـوا آيـات من كتـاب الله لم يتجاوزوهن حتى يتعلموا معانيهن والعمل بهن . .

فـالتلاوة التـي تفيد صـاحبهـا هي تلك القـراءة المصحوبـة بالتدبـر والتفكر لا تلك القراءة المجردة من كل متـابعة أو تأمل أو اهتمام . .

وإذا كـانت قراءة القـرآن مطلـوبة في كل وقت من الأوقـات فإنها في مثل أيام هـذا الشهر أحـرى وآكد فهو شهـر القرآن . . وقد كان جبريل عليه السلام يلتقي بالرسول صوات الله وسلامه عليه في رمضان في كل ليلة فيدارسه القرآن الكريم . .

وقد ثبت عن الإمام مالك رحمه الله تعـالى أنه كان في رمضان لا يتشاغل إلا بـالقرآن الكريـم، وكان يعتزل التـدريس والفتيا والجلوس للناس ويقول : هذا شهر القرآن الكريم . .

فعلينا معشر المسلمين أن نشغـل أنفسنا بتـلاوة كتاب الله في ساعـات هذا الشهـر الكريـم تلاوة متأنيـة مصحوبـة بالتـدبر والتفكر لكي تـؤتي ثمارها وتعود علينا بالنفع والثـواب لأنه ليس المقصود أن يمـك الـواحد منا كتاب الله ويقـرأ قراءة سريعة لا

روح فيها ولا أثر لها .

وهمه أن يقــرأ أكبر قـدر ممكن ليـتمكن من إكمال القــرآن في الشهر مـرة أو مرتين ، بل يجب الـوقوف عند الآيـات وترديـدها وعرض أحـوالنا على كتاب الله لتتحقق الفـائدة المرجوة من تلك التلاوة .

نسأل الله أن يجعلنـا ممن يشفع لهم القـرآن يـوم القيـامـة إنـه سميع مجيب .

(٣) بركة السحور

قال رسول الله ﷺ: «تسحروا فإن في السحور بركة» رواه البخاري، وعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر. .» رواه البخاري ومسلم.

السحور والفطور من مستلزمات الصيام

أما السحور فيقوي على الصيام ويتسبب في نشاط الصائم وتخفيف المشقة عليه كما أن فيه مخالفة لمن قبلنا من أهل الكتاب فقد كانوا لا يأكلون ولا يشربون ولا ينكحون بعد النوم، أي: إذا نام أحدهم بعد صلاة العشاء أو منتصف الليل فإنه لا يجوز له أن يطعم حتى الليلة القابلة، وقد روي عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «فصلُ ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر. .» رواه مسلم.

وفي السحور بركة لأنه اتباع للسنة، وقد دخل رجل من أصحاب النبي ﷺ وهو يتسحر فقال:

«إنها بركة أعطاكم الله إياها فلا تدعوها».

ولعل من أعظم بركات السحور أن الله سبحانه وتعالى يشمل المتسحرين بمغفرته ويسبغ عليهم رحمته فينبغي ألا يفوّت المسلم هذا الأجر العظيم.

ويستحب تأخير السحور إلى قبيل الفجر: فقد روى أنس رضي الله عنه عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أنه قال: «تسحرنا مع النبي ﷺ ثم قام إلى الصلاة. قلت: كم بين الأذان والسحور؟ قال: قدر خمسين آية..»

ويتضح من هذا أن ما يفعله بعض المسلمين من تأخير طعام العشاء إلى منتصف الليل والاستغناء به عن السحور فيه تفويت لتلك البركة وهذه السنة إضافة إلى ما يحصل للبعض من ترك لصلاة الفجر مع جماعة المسلمين وتأخيرها عن وقتها المعتاد..

أما الفطور فالسنة تعجيله فقد كان أصحاب النبي ﷺ أسرع الناس إفطارًا وأبطأهم سحوراً.

ففي تعجيل الإفطار اتباع لسنة الرسول صلوات الله وسلامه عليه، فقد كان يفطر قبل أن يصلي، يفطر على رُطَبَات فإن لم يكن رُطَبَات فتمرات، فإن لم يكن تمرات حسا حسوات من ماء..

وهذا من كمال شفقته على أمته، وحرصه عليهم ونصحه لهم..

ويحسن أن نشير هنا ونحن نتحدث عن طعام الإفطار إلى ما يقوم به كثير من الناس اليوم من التفنن في أنواع الأطعمة

والأشربة والإسراف في ذلك، ففي هذا كثير من السلبيات والآثار الضارة فنرى ربة المنزل الأخت أو البنت أو الزوجة تنشغل طول اليوم في إعداد أصناف الطعام وهذا بلا شك صارف لها عن كثير من أمور العبادة المطلوبة في مثل هذا الشهر الكريم كالذكر والتلاوة إضافة إلى ما فيه من إسراف وتبذير.

وهناك سلبية أخرى، وهي أن الصائم يأتي بعد يوم صيام كامل فيقع على هذه المائدة يأكل مما لذ وطاب ويتبعه مثله من الشراب فيسبب له ذلك ثقلاً وتكاسلاً عن أداء العبادة، وخاصة صلاة التراويح والقيام التي يحرص عليها المسلمون في هذا الشهر المبارك.

إن الخير كل الخير في اتباع سنة المصطفى ﷺ والتأسي به في كل أمورنا صغيرها وكبيرها لنفوز برضى الله عز وجل ونسعد في الدنيا والآخرة..

(٤) الصوم المعنوي

عن أبي هريرة رضي عنه قال: قال النبي ﷺ:

«من لم يدع قول الزور والعمل بـه فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه..» رواه البخاري.

ليس المقصـــود من الصيـــام أن يمسك المرء عـن الطعـــام والشراب والجماع في نهار رمضان فقط، ولكن يجب على الصائم ذلك ومعه أيضًا إمساك من نـوع آخر، وذلك بأن يحفظ جوارحه من الـوقـوع فيما حرم الله فيحفظ لسـانـه عن الـوقوع في الغيبـة والنميمة وشهادة الزور وسباب المسلمين والإساءة إليهم والترفع عن الكـذب والبذيء من الكـلام والفحش والجفاء والخصـومة والمراء وعليه في الوقت نفسه أن يشغل لسـانه بذكر الله عز وجل وتلاوة القرآن الكريم..

كما أن على المؤمن أن يحفظ عينه وسمعـه مما يـسخط الله تعالى فلا تقع عينـه ولا تسمع أذنه إلا ما يرضي الله عـز وجل.. لأنه إن خالف ذلك وترك لجوارحـه العنان تسرح كما تشاء وتفعل ما تهوى وتريد فإنه بذلـك يخسر خسارة عظيمة فليس لله حاجة في أن يـدع طعامـه وشرابـه فالله غني عن صيـامـه وسوف يعـرض صيامـه لإحباط الثـواب.. لأن من معاني الصيـام الامتناع عن الأمور الحسية من الطعـام والشراب والجماع والامتناع عن الأمور

المعنوية كالغيبة والكذب وفحش القول وسوء الخلق وغير ذلك مما حرَّم الله . .

وقد وجه المصطفى صلوات الله وسلامه عليه معشر الصائمين بأن عليهم الابتعاد وقت صومهم عن الرفث والصخب ؛ وذلك بألا يفحش في قوله ولا يرفع صوته أو يكثر لغطه فإن تعرض له أثناء صومه من يسبه ويشتمه أو يقاتله فإن واجبه حينئذ ألا يرد عليه بمثل قوله بل عليه أن يقول : «إني صائم» فيتذكر هو ويذكر خصمه أن حالة الصيام التي يتلبس بها لا تعني مجرد إمساك وصوم عن الأمور المحسوسة فحسب ، بل تعني أيضًا الإمساك عن كل ما يخدش هذا الصيام ويجرحه من أمور معنوية منكرة . وهذا منهج رائع يسلكه المسلم حينما يتعرض لمن يحاول أن يفسد عليه صومه فيرده ردا جميلاً مهذبًا يعيده هو أيضًا إلى جادة الصواب . .

فالصوم إذن هو صوم الجوارح عن الآثام وصوم البطن عن الطعام والشراب فكما أن الطعام والشراب يفسدان الصوم فكذلك الآثام تقطع ثوابه وتفسد ثمرته فتصير بمنزلة من لم يصم . .

وقد جاء الوعيد الشديد من الله عز وجل لمن يحسب أن

الصوم إمساك عن الأمور المحسوسة فقط فقال عليه الصلاة والسلام: «ربّ صائم حظه من صيامه الجوع والعطش..» رواه ابن ماجة والدارمي وأحمد والبيهقي، وسبب ذلك أن من يفعل هذا لم يدرك مقصود الشارع من فرض الصيام الذي أوجبه الله علينا فعاقبه بحرمانه من أجر الصيام والثواب المترتب عليه..

إن مجالس كثير من المسلمين اليوم لا تخلو إلا بالوقوع في أعراض خلق الله بالغيبة والنميمة، ونرى أن بعض المسلمين الصائمين لا يفرق بين يوم صومه ويوم فطره فتراه يمارس الكذب والسب والشتم بسبب وبدون سبب جهلاً منه بفقه الصيام، فصيامه صيام عادة لا أثر له على سلوكه وجوارحه فعلينا جميعًا أن نتوب إلى الله توبة صادقة بأن نحرص على حفظ صيامنا من كل ما يؤثر عليه، كما علينا أن نملأ بيوتنا ومجالسنا ونوادينا بذكر الله وتلاوة كتابه. والخوض فيما ينفعنا في الدنيا والآخرة.

(٥) الدعاء هو العبادة

يقول الحق عز وجل : ﴿**وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين . .**﴾ .

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : «الدعاء هو العبادة» رواه أبو داود والترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

الدعاء هو الابتهال إلى الله تعالى بالسؤال والرغبة فيما عنده من الخير والتضرع إليه في تحقيق المطلوب و إدراك المأمول .

وقد دعانا المولى عز وجل إلى دعائه والتوجه إليه نسأله في كل أمر من أمور ديننا ودنيانا ، نسأله العفو والعافية ، ونسأله الفوز بالجنة والنجاة من النار، نسأله من فضله الواسع وخيره الشامل فأبوابه مفتوحة للطالبين الصادقين ، وقد وعدنا عز وجل بالإجابة إن نحن قمنا بالدعاء على الوجه المطلوب ، وقد عدّ من ينصرف عن دعائه وسؤاله من المتكبرين عن عبادته ، وتوعد هذا الصنف من الناس بنار جهنم أعاذنا الله جميعًا منها .

فالدعاء كما يقول المصطفى صلوات الله وسلامه عليه من العبادات العظيمة والقربات الجليلة وفاعله يؤجر عليه ويثاب .

وفي الدعاء تجسيد لحقيقة الإنسان هذا المخلوق الضعيف ففيه إظهار لفقره وعجزه وتذلّله وخضوعه بين يدي ربه وخالقه

ومولاه فهو عز وجل الغني ونحن الفقراء، وهو القوي القادر ونحن الضعفاء العاجزون لا حول لنا ولا قوة إلا بالله . .

وقد تكفل المولى عز وجل بإجابة دعاء من دعاه بقوله ﷺ: «ما من أحد يدعو بدعاء إلا آتاه الله ما سأله أو صرف عنه من السوء مثله ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم . . » .

وذلك بشرط أن تتوفر شروط الدعاء المطلوبة، ومنها:

١ - الإخلاص في الدعاء بأن يصرف لله عز وجل لا يشرك به سواه. يقول الرسول ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما: «إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله . . » رواه الترمذي.

٢ - عدم الاستعجال، وذلك لأن الاستعجال محبط للدعاء كما صح عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم ما لم يستعجل، قيل: يا رسول الله: فما الاستعجال؟ قال: يقول: قد دعوت فلم أر يستجيب لي فيستحسر عن الله ويدع الدعاء» .

والاستحسار: الإعياء والانقطاع عن الشيء، والمراد هنا أن ينقطع عن الدعاء.

٣ - ومن شروط إجابة الدعوة واستجابة الدعاء حضور

القلب لقول الرسول ﷺ: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاهٍ..».

وهذا يعني أنك وأنت تتوجه إلى الله بالدعاء عليك أيها العبد أن تكون متفهما لما تقول، وأن تستحضر عظمة الله فأنت تقف بين يدي رب العزة والجلال جبار السماوات والأرض..

لأنه لا يليق بك وأنت العبد الفقير الذليل أن تخاطب مولاك بكلام لا تعيه ولا تدرك كنهه وفحواه.

٤ - ومن شروط إجابة الدعاء إطابة المأكل فالله طيب لا يقبل إلا طيبًا، ويقول الحق تبارك وتعالى: ﴿**إنما يتقبل الله من المتقين..**﴾.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: ﴿**يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون خبير**﴾ وقال: ﴿**يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم**﴾؛ ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب، ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام، وغذّي بالحرام فأنّى يستجاب له».

وقد ظهر من هذا أن إطابة المطعم والمشرب والملبس شرط من شروط إجابة الدعاء . .

وهناك أوقات يحسن استثمارها ومضاعفة العمل فيها والتوجه إلى الله بالدعاء، ومن ذلك الدعاء في جوف الليل والناس نيام لكون المولى عز وجل يدنو من عباده ويفتح لهم أبواب الرحمة والتوبة والمغفرة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يتنزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: «**من يدعوني فأستجيب له، ومن يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له** . . » .

ومن الأوقات الشريفة المتحن فيها الدعاء ليالي هذا الشهر الكريم فللصائم دعوة مستجابة، فعلى المؤمن الراغب في صفح ربه وغفرانه أن يستغل هذه الأوقات وأن يستثمر هذه الساعات فيتوجه إلى ربه بالدعاء الصادق المخلص لعل الله أن يستجيب دعاه ويفتح له أبواب رحمته .

(٦) أفلا أكون عبدًا شكورًا

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان النبي ﷺ يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقلت له: لم تصنع هذا يا رسول الله، وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أكون عبدًا شكورًا؟..» متفق عليه.

هكذا كان المصطفى صلوات الله وسلامه عليه يمارس حياته فإذا أوى الناس إلى مضاجعهم ليلاً قام عليه السلام يناجي ربه في خلوة إيمانية صادقة يتوجه إلى مولاه بالتضرع والدعاء دونما كلل أو ملل حتى أنه ﷺ يجهد نفسه في العبادة والقيام حتى ظهر أثر ذلك على جوارحه، فمن كثرة قيامه تشققت قدماه الشريفتان من طول الوقوف، ولكنه عليه الصلاة والسلام كان لا يبالي بذلك ويحتسبه عند الله، وقد أشفقت عليه زوجه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها إذ كيف يصنع كل هذا مع أن ربه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فحدثته في ذلك فجاء جوابه سريعًا وحاسمًا ومقنعًا: «أفلا أكون عبدًا شكورًا..».

كان الرسول ﷺ بهذا المنهج القويم يرسم للمؤمنين الطريقة المثلى في حياتهم فهو القدوة والأسوة ﴿**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر**﴾.

لقد كان عليه السلام عابدًا لربه شاكرًا له على نعمه التي لا

تحصى فهو المنعم المتفضل المستحق للحمد والثناء . . وكان ﷺ يحث المؤمنين على فضائل الأعمال لينالوا ثواب الله ويكسبوا رضاه ويفوزوا بجنته يقول : «أيها الناس : أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا بالليل والناس نيام تدخوا الجنة بسلام . . » رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

لقد رتب على القيام بهذه الفضائل دخول الجنة التي هي غاية المنى ومقصد المؤمنين ، وجاء الأمر بصلاة الليل والناس نيام لما في ذلك من مشقة وثقل على النفس فترى المؤمن يهجر فراشه ويهرع لمناجاة ربه في وقت يستمتع فيه الناس بلذيذ الكرى ، وطعم الراحة ، ودفء الفراش ، وقد امتدح الحق تبارك وتعالى المؤمنين وجعل من صفاتهم أنهم يقومون الليل ﴿**كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون ، وبالأسحار هم يستغفرون . .**﴾ وقال في موضع آخر من كتابه العزيز: ﴿**تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفًا وطمعًا ومما رزقناهم ينفقون . .**» .

فالمؤمن ينام قليلاً من الليل ويصلي أكثره ، قال الحسن البصري : «كابدوا قيام الليل فلا ينامون من الليل إلا قليلاً ، ونشطوا فمدوا إلى السحر حتى كان الاستغفار بسحر . . » .

إن من جرب قيام الليل في مناجاة ربه وخالقه يشعر بسعادة

كبيرة لا تعدلها سعادة، ويشعر بأنس عظيم فهو في ضيافة مولاه..

وإن كان قيام الليل مطلوبًا في كل وقت فهو في مثل هذا الشهر آكد لما في ذلك من مضاعفة للأجر والثواب يقول الرسول ﷺ: «من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه..» متفق عليه وهذا حث من الله عز وجل لعباده بأن يحيوا ليالي هذا الشهر بالعبادة مؤمنين بما فيه من الثواب، مخلصين في ذلك، قاصدين به وجه الله عز وجل لينالوا بذلك أعظم الأجر والمثوبة، نسأل الله أن يجعلنا ممن يصوم هذا الشهر ويقومه إيمانًا واحتسابًا.

عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار. .» متفق عليه. .

للإيمان حلاوة ومذاق لا يجدهما إلا المؤمن الذي وفقه الله للخير ودله على طريقه ومنهجه، وهذه الحلاوة الإيمانية يعرف طعمها عباد الله المخلصون. يعيشون في واحة الإيمان يتفيئون ظلالها الوارفة ويستنشقون نسائمها العبقة فهم في غاية الأنس ومنتهى السعادة وقمة اللذة.

ولكن متى يجد المؤمن حلاوة الإيمان؟ يجيب المصطفى ﷺ على هذا السؤال بالحديث السابق: ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان.

الأولى / أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، بمعنى أن يحب المرءُ الله محبة صادقة خالصة، وأن يكون أحب إلى نفسه من نفسه وماله وولده والناس أجمعين.

لأن المحبة لا تؤتي ثمارها إلا إذا غرست في القلب، وسقيت بماء الإخلاص، والحق عز وجل يستأهل هذه المحبة لكونه

الخالق الأوحد للكون وما فيه من خلائق، وعلى رأسها الإنسان ويستحق المحبة لما أسبغه على الإنسان من نعم ظاهرة وباطنة فقد سخر هذا الكون بما فيه لمصلحة الإنسان، ويستحق عز وجل هذه المحبة لأنه لم يخلقنا سدى ولم يتركنا هملا بل خصنا بأفضل رسله وأكرم كتبه، ورسم لنا منهجًا سليمًا نسير عليه في هذه الحياة. ونحبه تعالى لافتقارنا إليه واعتمادنا في كل الأحوال عليه، ويستحق منا الحب الخالص فهو خالقنا ورازقنا.. **﴿أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء، ويجعلكم خلفاء الأرض؟ أإله مع الله؟ قليلاً ما تذكرون﴾**. **﴿أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر. ومن يرسل الرياح بشرىٰ بين يدي رحمته أإله مع الله، تعالى الله عما يشركون..﴾**.

ولكن كيف تكون محبة الله؟ تكون بأن تهب إرادتك وعزمك وأفعالك ونفسك ومالك ووقتك لله وتجعلها حبسًا في مرضاته ومحابه.. **﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين..﴾**.

وتكون المحبة باتباع منهج الله والتأسي برسوله صلوات الله وسلامه عليه.. فالذي يدعي حب الله عليه أن يبرهن على هذه الدعوى بأمر عملي ظاهر.. **﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني**

يحببكم الله . . ﴾

فدليل المحبة وعلامتها اتباع الرسول وفائدتها وثمرتها محبة المرسل لكم وهو الله، فما لم تحصل متابعة الرسول فليست المحبة حاصلة بل هي منتفية مهما ادّعى المدّعون.

الأمر الثاني الذي يجد به المؤمن طعم الإيمان وحلاوته محبة الرسول صلوات الله وسلامه عليه وهو يستحق هذه المحبة لكونه المبلغ عن الله؛ أدى الأمانة وبلّغ الرسالة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده، نحبه ﷺ لأنه الرحمة المهداة للبشرية ﴿**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**﴾ تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها ويستحق هذا الحب وهذا التقدير لكون طاعته ﷺ طاعة لله وسنته هي في المرتبة الثانية بعد كتاب الله . . ﴿**وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى**﴾. نحبه لأنه هو القدوة والأسوة . . ﷺ . .

ولكن كيف نحبه ؟ نحبه حبًا يليق به من المحبة والطاعة والانقياد، نعطيه المحبة الخالصة والطاعة التامة، والانقياد الكامل والاتباع المطلق.

ومن النماذج الرائعة لحب أصحاب رسول الله ﷺ له ما رواه البيهقي عن عروة قال: لما أخرج المشركون زيد بن الدثنة من

الحرم ليقتلوه بالتنعيم قال أبو سفيان لزيد: أنشدك الله يا زيد أتحب أن محمدًا الآن عندنا مكانك تضرب عنقه وأنك في أهلك؟ فقال زيد: والله ما أحب أن محمدًا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة وأنى حابس في أهلي، فقال أبو سفيان: ما رأيت أحدا من الناس يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدًا..

الأمر الآخر الذي يجد به المؤمن حلاوة الإيمان (أن يحب المرء لا يحبه إلا لله..) وهذا قمة المحبة أن تحب أخاك المسلم محبة خالصة تحبه في الله لا لمصلحة طارئة ولا لعرض زائل بل تجمع بينكما وشائج التقوى وعرى الإيمان الذي لا ينفصل وأنعم بها من رابطة ﴿**الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين**..﴾ وعلامات هذا الحب أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك ولن تكون المحبة كذلك إلا إذا قرنت بالإخلاص والإيمان والتقوى وبهذا يجد من يعيش هذه الحالة من الحب ثمرة ذلك الحب حلاوة إيمانية رائعة لا يجدها سواه من أصحاب العلاقات التي تقوم على المصالح الدنيوية والأطماع الزائلة والوشائج الكاذبة..

والأمر الآخر والأخير الذي إذا تحقق في حياة المسلم أحس

طعم الإيمان وحلاوته . . كراهية مبادئ الكفر ونبذ أهل الضلال فإذا تمكن هذا من قلب المؤمن شعر بحلاوة الإيمان . .

نسأل الله أن يرزقنا محبته ومحبة رسوله ﷺ ومحبة إخواننا المسلمين إنه سميع مجيب . .

(٨) وبالوالدين إحسانًا

قال تعالى: ﴿**وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانًا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريمًا واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرًا**﴾.

وقال عز وجل من قائل: ﴿**ووصينا الإنسان بوالديه، حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك..**﴾ لقمان ١٤.

الله أكبر ما أكرمك يا الله وما أرحمك وأنت تربط بين واجب العبد تجاهك وبين واجبه تجاه والديه أمرت خلقك وأوجبت عليهم ألا يعبدوا إلا إياك لأنك أنت المستحق للعبادة وحدك دون سواك وفي الوقت نفسه قرنت بهذا الأمر العظيم أمرًا آخر هو في ذاته عظيم لكونه جاء بعد علاقة الإنسان بخالقه وموجده ومولاه تبارك وتعالى..

إن بر الوالدين والإحسان إليهما من أعظم الأمور، وتركه من أكبر الكبائر.. وهو أمر مفروض من فوق سبع سماوات أوجبه خالق الكون والإنسان والحياة ﴿**وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانًا**﴾.

هذا خطاب من المولى عز وجل لكل الأبناء والبنات

يستجيش القرآن وجدان البر والرحمة في قلوبهم لتلتفت إلى الخلف إلى تلك الأبوة الحانية التي تفيض رحمة وعطفًا وحنانًا لتعيد ذلك الدفق الدافئ مشاعر صادقة مملوءة بالبر والإحسان والعطف، فقد أخذ الابن والبنت أضعافه عندما كان في حاجة إليه . . واليوم جاء دور الولد ليعطي كما أخذ ويرد بعض الإحسان الذي غمراه به وهو صغير في مراحل عمره الأولى.

وحق والديك عليك عظيم جدًّا وذلك بالإحسان إليهما قولاً وفعلاً تمتثلُ أمرهُمَا في غير معصية الله وتقوم بخدمتهما وتلين لهما القول وتبسط لهما الوجه ولا تتضجر منهما عند الكبر أو تشتكي منهما عند المرض أو العجز. .

﴿**إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريمًا**. .﴾ وجاءت كلمة (عندك) لتوحي وتصور معنى الالتجاء والاحتماء في حالة الكبر والضعف. . وللكبر جلاله، وضعف الكبر له إيحاؤه، والإنسان في حال الكبر يحتاج إلى رعاية من نوع خاص تراعي فيه نفسيته ورغباته، ومطالبه، فكيف إذا كان هذا الكبير هو أمك أو أبوك اللذان بذلا من قلبيهما وروحيهما لك الكثير فقد كان أبوك يجهد نفسه وعقله وفكره من أجل رعايتك وتربيتك

وتأمين سبل معاشك وكذا كانت أمك فهي من حملتك في بطنها وهنا على وهن، وأرضعتك من صدرها وسهرت الليالي من أجل راحتك؛ أفلا يستحقان منك هذا البر وذلك الإحسـ ن؟ . .

بل إن القرآن حذر من أن يندَّ من الـولد ما يدل على الضجر والضيق في حـال كبر الوالـدين فقـال: ﴿**فـلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريمًا**. .﴾ وذلك بأن يعرف الولـد لوالديه حقهما من الرعـاية والعنـ ية والاحترام والتقـدير ﴿**واخفض لهما جنـاح الذل من الـرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيـاني صغيرا**. .﴾ أراد الحق عز وجل أن يعيد الـولد إلى ماضيه وذكرى طفـولته وما فيهـا من ضعف وعجز يقـوم الوالـدان آنـذاك بتقديم الـرعايـة الكاملـة إلى أن صار الولـد رجلاً وأصبح الوالـدان اليوم في مثل تلك الحالة فهما في حاجـة ماسة إلى مزيد من الرعـاية والحنان، ولا ينسى الولـدُ وهو في غمرة هـذه المشـ عـر الجياشة أن يـدعو لوالـديه بـالرحمة فرحمة الله أوسع ورعـايته أشمل وجنـابه أرحب وهو سبحانه أقدر على جزائهما لما بـذلاه من كريم الرعاية وجميل الإحسـ ن وصادق التربية. .

ونظرًا لأهمية بر الوالـدين فقد قدمه ﷺ على الجهاد في سبيل الله؛ ففي الصـحيحين «عن عبـدالله بـن مسعـود رضي الله عنـه

قال: سألت النبي ﷺ: أي العمل أحب إلى الله تعالى؟ قال: الصلاة على وقتها، قلت: ثم أي؟ قال: بر الوالدين، قلت: ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله . . » متفق عليه.

ولذا فإن عقوق الوالدين والتساهل في أداء حقهما يعتبر من الكبائر فعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: الكبائر: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغموس . . » رواه البخاري.

ونظرًا لخطورة العقوق جاء بعد الإشراك بالله . . ولا يقف بر الوالدين وصلتهما عند حياتهما بل يمتد بعد مماتهما . . جاء رجل من بني سلمة إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله هل بقي من بر أبويَّ شيء أبرهما به بعد موتهما ؟ فقال: نعم، الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما، وإكرام صديقهما . . » رواه أبو داود.

فهل بقي بعد هذا من عذر لمسلم مقصر في حق والديه أو عاق لهما لا سمح الله. إن الدين والعقل والوفاء والمروءة توجب على الإنسان أن يرد جميل من أحسن إليه ويكافئ من أسدى له معروفًا . . فكيف إذا صار هذا العمل جزءًا من الدين، ونوعًا من العبادة يتقرب بها الإنسان إلى الله عز وجل . .

(٩) ليقل خيرًا أو ليصمت

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال :

«من كان يؤمن بالله وباليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت . . » متفق عليه .

سنتناول من هذا الحديث العظيم الجامع جزءه الأخير «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت . . » سبحان الله إن هذا اللسان الصغير قد يكون سببًا في سعادة الإنسان، وقد يكون سببًا في شقائه، إن ذكر الله به وأشغله بالتسبيح والتهليل والتلاوة نجا وسلم وكسب الأجر والمثوبة من الله، وإن أطلق له العنان يجول ويصول ينهش به أعراض خلق الله ويستخدمه في الكذب والغيبة والنميمة وقول الزور والسباب والفاحش من القول كبا وندم، واكتسب غضب المولى وسخطه . خرج رسول الله ﷺ ذات يوم فسار على راحلته فقال له معاذ : أي الأعمال أفضل؟ فأشار رسول الله ﷺ إلى فيه وقال : «الصمت إلا من خير» فقال معاذ : وهل يؤاخذنا الله بما تتكلم به ألسنتنا ؟ فضرب رسول الله ﷺ على فخذ معاذ ثم قال : يا معاذ بن جبل ثكلتك أمك، وهل يكب الناس على مناخرهم في جهنم إلا ما نطقت به ألسنتهم فمن كان يؤمن بالله

عز وجل واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليسكت من شر. قولوا خيرًا تغنموا واسكتوا عن شر تسلموا . . » .

لـذا فإن رسـول الله صلوات الله وسـلامـه عليه كـان طـويل الصمت يقـول بعض أصحـابـه : كنـا نجلس إلى النبي ﷺ فما رأيت أطول صمتا منه ، وكان إذا تكلـم أصحابه وأكثروا الكلام تبسم عليه السلام .

وأخرج الخطيب البغدادي في تاريخه عن سفيان رضي الله عنه قـال : أول العبـادة الصمت ، ثم طلـب العلم ، ثم حفظـه ثم العمل به ، ثم نشره . يقول عبدالله بن مبارك :

الصمـت أزيـن للفتـى ... من منطـق في غير حينـه
والصـدق أجمل للفتـى ... في القـول عنـدي من يمينـه
وعلى الفتـى بـوقـاره ... سمـة تلـوح على جبينـه

ويقول الآخر:

متى تطبق على شفتيك تسلم ... وإن تفتحهما فقل الصـوابـا
فما أحـد يطيـل الصمت إلا ... سيـؤمن أن يُـذم وأن يعـابـا
فقل خيرًا أو اسكت عن كثير ... من القول المحل بك العقـابا

وقـد رفـع الله جارحـة اللسـان على سائـر الجـوارح فليس منهـا شـيء أعظـم أجـرًا منـه إذا أطـاع ولا أعظـم ذنبًـا منـه

إذا جنى . . ولابد هنا من الإشارة إلى أمر في غاية الأهمية وهو أن المسلم يثاب على الصمت إن كان الكلام في غير مصلحة ظاهرة، أما إذا كان هناك موجب للكلام فيكون الصمت حينئذ غير محمود بل قد يأثم من يرى منكرًا فلا يقوم إلى تغييره، فالصمت يكون محمودًا ومطلوبًا في وقته، وكذا الكلام يكون مطلوبًا بل واجبًا حين يلزم التكلم . .

قال أبو حاتم: الواجب على العاقل أن يلزم الصمت إلى أن يلزمه الكلام . . وفي اللسان عشر خصال يجب على المرء أن يعرفها: هو أداة يظهر بها البيان، وشاهد يخبر عن الضمير، وناطق يرد به الجواب، وحاكم يفصل به الخطاب، وشافع تدرك به الحاجات، وواصف تعرف به الأشياء، وحاصد تذهب به الضغينة، ونازع يجذب المودة، ومسلٍّ يذكي القلوب، ومعزّ ترد به الأحزان . .

قال الأحنف بن قيس: قال عمر بن الخطاب: يا أحنف من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه قلّ حياؤه، ومن قل حياؤه قل ورعه، ومن قل ورعه مات قلبه . .

وقد أنشد رجل من ربيعة :

لعمـــرك مـــا شيء علمـتُ مكـــانـــه
أحق بسجـن من لســـــان مُـــذَلَّلِ
على فيك ممـــــا ليس يغنيك شـأنـــه
بقفل وثيـق مـــــا استطعت فـأقفل
فـــرب كـــلام قـد جـــرى من ممـــازح
فســـــاق إليـــــه سهم حتـفٍ معجّلِ
وللصمت خير مـن كـــــلام بمأثـم
فكن صـامتا تسلم و إن قلت فـاعدل

و إن كان المسلم مأمورًا بحفظ لسانـه من الوقوع فيما حرم الله ومطـالبًـا بإشغـال جوارحـه فيما يـرضى الله عـز وجل في سـائر الأوقات فـإنه في هـذا الشهر المبارك في أمـس الحاجة إلى تـذكر تلك المعاني والتأكد من حفظ جوارحه كلها وخاصة اللسان لئلا يقع في المحظورات فيكون حتفه فيما يخرج منه . .

(١٠) فليصل رحمه..

قال تعالى: ﴿**والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار. .**﴾.

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من أحب أن يبسط له رزقه وينسأ في أثره فليصل رحمه. .» متفق عليه.

الأرحام: جمع رحم وهو في الأصل بيت منبت الولد ووعاؤه في البطن ومكان تكوينه ثم استعمل لقرابة الإنسان لكونهم خارجين من رحم واحدة فصار اسماً لكافة أقارب الشخص كأبيه وأمه وأخيه وأخته وابنه وابنته وكل من بينه وبينهم صلة من هذه الجهات كالأجداد والجدات وإن علوا، والأبناء والبنات وإن نزلوا، والإخوة والأخوات والأعمام والعمات والأخوال والخالات وأبناء الجميع. . ﴿**يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة، وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرًا ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبًا. .**﴾.

إن هذا الدين يحرص على بناء مجتمع إسلامي متين قوي البنية، متماسك الحلقات، لا ضعف فيه ولا خلل كأنه بنيان مرصوص لذا جاءت توجيهات الإسلام صريحة واضحة في

الحث على التماسك الأسري، فـالأسرة حلقـة من حلقـات المجتمع الكبير. ﴿**يا أيها النـاس إنَّا خلقنـاكم من ذكر وأنثى وجعلنـاكم شعـوبـا وقبـائل لتعـارفـوا إن أكـرمكم عنـد الله أتقاكم**..﴾، ويقـول الحق عـز وجل.. ﴿**وآت ذا القـربى حقه**..﴾ فترى الإسلام يركز على توطيد الصلة وتقوية الأواصر بين أفراد المجتمع بشكل عام وبين أفـراد الأسرة الواحدة بشكل خاص لكي يتحقق الوئام والمودة..

ولصلـة الرحم آثـار إيجابية عظيمـة فهي سبب في نماء المال، وسعـة الـرزق وزيـادة العمـر، وحصـول الـرحمة، وتفـريج الكـربات، وتيسير الأمـور وهي قبل هـذا وبعده عمل صـالح مبارك لصـاحبها الخير في الـدنيا والآخـرة، فمن وصلهـا وصله الله، ومن قطعهـا قطعـه الله.. كما أن الصلـة تكـون سببًـا في دخول الجنـة.. جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال له: يـا رسول الله أخبرني بعمل يـدخلني الجنة فقـال له رسـول الله: تعبد الله ولا تشرك به شيئًـا، وتقيم الصلاة، وتـؤتي الزكـاة، وتصل الرحم. وكما أن للصلـة آثارهـا النافعـة على الفرد والمجتمع فإن لقطيعـة الرحم آثـارها الخطيرة ونتائجها المدمـرة على الفرد وعلى المجتمع فهي كبيرة من كبائر الـذنوب التي توعـد الله مرتكبها بـالعذاب

الشديد والعقوبة العاجلة في الدنيا والآجلة في الآخرة يقول المصطفى صلوات الله وسلامه عليه . . «لا يدخل الجنة قاطع . . » يعني قاطع الرحم . متفق عليه . ويقول : «ما من ذنب أحرى أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم» . . رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح . .

فقاطع الرحم مقطوع من الله عز وجل فأي خير يرجوه بعد ذلك؟ وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال : «الرحم متعلقة بالعرش تقول : من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله . . » متفق عليه .

وقاطع الرحم مطرود من رحمة الله ﴿**فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم ، أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم . .**﴾ .

ومن الناس من يصل أقاربه إن وصلوه ، ويقطعهم إذا قطعوه ، وهذا في الحقيقة ليس بواصل إنما هو مكافئ للمعروف بمثله ، والواصل الحقيقي هو الذي يصل أرحامه وقرابته في كل وقت وحين وعلى أي حال سواء وصلوه أم قطعوه فإن له بذلك أجرًا عظيمًا وثوابًا جزيلاً . . يقول الرسول ﷺ «ليس الواصل

بالمكـافئ، ولكن الواصل الـذي إذا قطعت رحمه وصلها». رواه البخاري. وجاء رجل إلى النبي صلوات الله وسـلامه عليه فقال له: يـا رسول الله إن لي قـرابة أصلهم ويقطعـوني وأحسن إليهم ويسيئون إلي، وأحلم عنهم ويجهلون علي فقال: «لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم الملّ ولا يـزال معك من الله ظهير عليهم مـا دمت على ذلك..» رواه مسلم. ومعنى تُسِفُّهم أي تطعمهم، والملّ هو الرمـاد الحار وهو تشبيه لما يلحقهم من الإثم بما يلحق آكل الرماد الحار من الألم.

أمـا كيف تكـون صلـة الرحم؟ فـإنها تكون بـالإحسـان إلى الأقارب بالمال والعـون عند الحاجة ودفع الضرر وطلاقـة الوجه ولين الجانب وطيب الكـلام وتكون أيضًـا بالـدعاء لهم والتـودد إليهم والنصح لهم والعدل والإنصاف والقيام بـالحقوق الواجبة والمـستحبة والنفقة على القريب المحتاج وتفقد أحوالهم والتغاضي عن زلاتهم، وتكـون أيضًا بـزيارتهم وإجابـة دعوتهم وإيثـارهم بالإحسان والصدقة كما تكـون الصلة ببذل المعروف لهم والمبادرة إلى إصلاح ذات بينهـم عند اختلافهم والتعـاون معهم على البر والتقوى. والخلاصة أنها تكون بإيصال ما أمكن من الخير إليهم ودفع ما أمكن من الشر عنهم بحسـب الجهـد والطاقة كل منهم

حسب منزلته ومكانته وحاله . .

وجميل من العبد أن يغتنم مثل هذه الفرص النادرة وهذه الأوقات الشريفة ليحاسب نفسه فيعيد من الود ما انقطع ومن الوصل ما تعثر ويفتح مع أهله وأقاربه وأحبابه صفحات جديدة يملؤها بالحب والعطف والحنان لنتعاون جميعًا في بناء مجتمع إسلامي متماسك .

نسأله عز وجل أن يمن علينا بعفوه ، وأن يرزقنا سعادة الدارين ؛ إنه نعم المولى ونعم النصير.

(١١) ومسؤول عن رعيته

قال الله تعالى : ﴿**يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارًا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون . .** ﴾ .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته . . الإمام راع ومسؤول عن رعيته ، والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته . . » الحديث متفق عليه .

إن مسؤولية الآباء والأمهات تجاه أبنائهم وبناتهم عظيمة جدًّا ، فمطلوب من الوالدين أن يقوما بما أوجب الله عليهما من حق تجاه أولادهما وذلك برعايتهم وتربيتهم على منهج الله تربية عقدية وفكرية وخلقية ونفسية تنسجم مع شرع الله ليكونوا لبنات صالحة في بناء المجتمع وعناصر فاعلة تستطيع تحمل أعباء الحياة ومسؤولياتها بكل همة واقتدار.

وقد كان المصطفى صوات الله وسلامه عليه يولي جوانب التربية عند الناشئة أهمية خاصة فهذا أبو حفص عمرو بن أبي سلمة يقول عن نفسه : «كنت غلامًا في حجر رسول الله ﷺ وكانت يدي تطيش في الصحفة فقال لي رسول الله ﷺ : يا غلام سم الله ، وكل بيمينك وكل مما يليك فما زالت تلك طِعْمَتِي

بعد . . » متفق عليه .

ما أروعه من موقف ، لم يترك الفـرصة تفوت وقد رأى من هذا الغلام مخالفـة هي عند كثير مـن الناس تعـد يسيرة إلا أن رسول الله وهـو المعلم الأول والمربي الفريـد أراد أن يعطي هـذا الصبي دروسا تـربويـة مفيدة فقـال له بلطف شـديد وأدب جـم وأبوة حانية : يا غلام ، افعل كذا وكذا . . لم ينهره أو يزجره بل قدم له ما ينبغي أن يفعل وكـانت استجابـة الغلام سريعـة وهو يتلقى هـذا التـوجيه الكـريم من نبي الأمـة . . فقـال : فما زالت تلك طعمتي . .

إن مسؤولية تربية الناشئـة تقوم في الدرجة الأولى على الأبوين لأنهما المحضن الأول للطفـولة . . وكل مـولود يـولد على الفطـرة فأبواه يهودانـه أو يمجسانه أو ينصرانه . . فـالأب والأم يشتركان في هذه الرسالة العظيمة كلٌّ حسب اختصاصه وقدراته ، ولا بد أن نشير هنـا إلى أن مسـؤوليـة الأم أعظم وأخطـر فهي مـلازمـة لـولدهـا منذ الـولادة إلى أن يشب ويترعرع وينمـو عقله وفكـره وجسمه ويبلغ مبلغ الرجـال ولهذا أفرد الرسول ﷺ الأم بتحمل مسؤولة خاصة حينما قال : «والأم راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها . . » وصدق الشاعر حيث قال :

الأم مـــدرسـة إذا أعـــددتها أعددت شعبا طيب الأعراق

فمسؤوليـة الأم إذًا لا تقل عن مسؤولية الأب في رعايـة الأبناء وتربيتهم إن لم تتفوق عليه في بعض الجوانب . .

وليست رعاية الأبوين لأولادهما - كما يفهمها بعض الناس - مقصـورة على الـرعـايـة الصحيـة وتأمين متطلبـات الأولاد من كسـاء ، وغـــذاء ، وتعليم ، وغير ذلك من الأمـور الـدنيـــويـة فحسب بل إن الأمر أكبر مـن ذلك بكثير فكما أن ذلك مطلوب ويثاب الوالـدان عليه إلا أن الاهتمام بالجوانب التربـوية وتنشئة الأولاد على طاعة الله ورسوله والتخلق بأخلاق الإسلام الفاضلة والتمسك بتعاليمـه الـسمحة وقيمـه الكريمـة والعمل على بناء الجيل بناءًا صالحًا من كل النواحي هو الأمر المطلوب وهو الذي يـؤتي ثماره ويثاب من يقـوم بـه ؛ لأن تقصير الآباء في أداء هـذه المهمـة والقيام بهذه الـرسالـة واهتمامهم فقط بالجوانب الحسيـة الظاهرة سيخلق جيـلا ضعيفا في تكوينه هـزيلا في نشأته قليل الفائدة فاقـد التأثير والعطاء بل ربما لا سمح الله انحرف الأولاد عن الطـــريق الصحيح وانصرفـــوا لـلإجـــرام والتشرد . ولله در الشاعر حيث يقول :

ليس اليتيم من انتهى أبواه من هم الحيـاة وخلفـــاه ذليـــلا

إن اليتيم هـو الـذي تلقى لـه أمًّـــا تخلت أو أبًـــا مشغـــولا

ويشارك الآبـاء في مهمة التربيـة وواجب الإعداد كل مـن له احتكاك مباشر أو غير مباشر بتوجيـه الناشئة ورعايتهم، ويأتي المعلمون والمربون ووسائل الإعلام في المقدمة.

فالمعلم راع ومسـؤول عن رعيته. فنـرى الطفل يخرج من بيته إلى مدرستـه ويبقى بين يدي معلمـه قرابـة ربع يومـه وكل هذه الفترة التي قـد تصل إلى ست سـاعـات هي من مسـؤوليـات المعلمين والمربين المسؤولين أمام الله عن غرس الفضيلة في نفوس الناشئة وتعويدهم على مكارم الأخلاق..

ثم يأتي دور وسـائل الإعـلام وخـاصة التلفـاز الـذي يحظى بقبول كبير وإقبال شـديد من قبل أطفالنا فهـو يأخذ من وقتهم الكثير، لذا فـإن مسؤولية الإعـلام ومن وراءه كبيرة أمـام الله عز وجل فهو أيضًا راع ومسـؤول عن رعيته.. وكلكم راع وكل راع مسؤول عن رعيته..

ونـستطيع بإذن الله إذا تضافرت الجهود فأدى الآباء والأمهات والمعلمون والمربون والإعلاميون مسؤولياتهم كما يجب نـستطيع أن ننشئ جيـلاً قـادرًا على العطـاء يعيـد لأمتنـا أمجادهـا وعـزهـا وشموخها.

(١٢) انفروا خفافًا وثقالًا..

قال تعالى: ﴿**انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون . .**﴾.

وقال: ﴿**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم . .**﴾.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ أي الأعمال أفضل؟ قال: إيمان بالله ورسوله. قيل: ثم ماذا؟ قال: الجهاد في سبيل الله. قيل: ثم ماذا؟ قال: حج مبرور. .» متفق عليه.

الجهاد في اللغة هو بذل الوسع والطاقة. . وقال الراغب في المفردات: «الجهاد والمجاهدة استفراغ الوسع في مدافعة العدو. .».

والجهاد ثلاثة أنواع: مجاهدة العدو الظاهر، ومجاهدة الشيطان ومجاهدة النفس. . وتدخل هذه الثلاثة في قوله تعالى: ﴿**وجاهدوا في الله حق جهاده**﴾. يقول القرطبي: (حق جهاده) بامتثال جميع ما أمر الله به، والانتهاء عن كل ما نهى الله عنه، أي جاهدوا أنفسكم في طاعة الله، وردوها عن الهوى، وجاهدوا الشيطان في ردّ

وسوستــــه والظلمـــة في رد ظلمهـم والكـــافـــرين في رد كفرهم . . » .

والجهـاد ذروة سنـــام الإسـلام . . فهـو عبـادة لله لا يعـدلها قيام الليل، ولا صيام النهار. . عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ وسلم قـال : «مثل المجـاهـد في سبيل الله . . كمثل الصائم القائم . . وفي حديث آخر: «قيـل يا رسول الله ما يعدل الجهاد في سبيـل الله عز وجل ؟ قـال : لا تستطيعونه، فـأعادوا عليـه مرتين أو ثـلاثا كل ذلك يقـول : لا تستطيعون، وقـال في الثالثة : مثل المجاهـد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صلاة وصيام حتى يرجع المجاهد في سبيل الله . . » .

وقـد أدرك سلفُنـا الصـالح ورواةُ هـذه الـدعوة قيمة الجهاد في سبيـــل الله ومكانتـــه ومـا أعـــده الله للمجاهـــد من أجـــر عظيم وفـوز محقـق بإحـدى الحـسنيين إما النصر و إمـا الشهادة فخـرجوا من ديـارهم وأوطـانهم مجاهدين بأمـوالهم وأنفسـهم في سبيل الله ؛ لأن الإسـلام لا يعرف جهـادًا في غير هـذا السبيل، خرجـوا يحملـون كلمـــة الله وينشرون دينـه ويبذلـون في سبيل ذلـــك دمـاءهم وأرواحهم ويفارقـــون في سبيلـــه ديـــارهم

وأولادهم ويضحون بكل ما يملكون من أجل نصرة هذا الدين وإعلاء شأنه وإبلاغه للعالمين ولا يريدون علوًا في الأرض ولا فسادًا فكانت غايتهم إصلاح البشر في أخلاقهم وسلوكهم وإسعاد الناس في دنياهم وأخراهم وكانوا يحملون لهم النور والهدى لإخراجهم من الظلمات إلى النور، ومن الضلال إلى الهدى . .

هذا ربعي بن عامر يخرج مجاهدًا في سبيل الله وهو جندي من عامة جنود المسلمين ولكنه مسلم قد فهم دينه وأدرك غايته وعلم رسالته، قال لرستم بأعلى صوته، بصوت يُسمِع الدنيا كلها ويسجله التاريخ بمداد من ذهب قال: الله بعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل السماء . . ثم قال: إننا لم نأت لطلب دنيا، ولإسلامكم أحبُّ إلينا من غنائمكم . .

بهذه النماذج الربانية المؤمنة فتحنا الأرض ونشرنا فيها دعوة الله . كانوا يجاهدون لإعلاء كلمة الله لا من أجل مكسب دنيوي أو عرض زائل لأنهم كانوا يريدون الجنة، وفي الحديث: « من قاتل في سبيل الله فواق ناقة وجبت له

الجنة . . » رواه الترمذي . وكانوا رضي الله عنهم يقاتلون في سبيل الله ؛ لأن هدفهم إعلاء كلمة الله « . . من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله . . » متفق عليه . «ورباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها . . » .

والمجاهد في سبيل الله القاصد إعلاء كلمة الله فائز لا محالة إما أن تقر عينه بنصرة الحق ورفع راية التوحيد وكسر شوكة الباطل أو يفوز بالأخرى وهي الشهادة في سبيل الله ﴿**ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتًا بل أحياء عند ربهم يرزقون** . . ﴾ هذا بعض ما أكرمهم الله به . . وقال رسول الله ﷺ : «ما من مكلوم يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة وكلمه يدمي ، اللون لون دم والريح ريح مسك . . » متفق عليه . وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شيء إلا الشهيد يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة . . وفي رواية : لما يرى من فضل الشهادة . . متفق عليه .

هذا بعض ما أعد الله للمجاهدين . . والعجب الذي يحسن أن نقف عنده بتمعن وتأمل أن كثيرًا من معارك المسلمين

الفاصلة وقعت في شهر رمضان مثل معركة بدر ومعركة حطين وفتح مكة وغيرها . .

هذا الشهر الذي يتخذ منه بعض مسلمي اليوم فرصة للدعة والتراخي والكسل وكثرة النوم . كان أولئك يحملون سيوفهم ورماحهم ويجاهدون في سبيل الله . . .

نسأل الله عز وجل أن ينصر جنده المخلصين المجاهدين في سبيله كما نسأله أن يقرّ أعيننا بنصرة دينه ، إنه سميع مجيب .

(١٣) أفشوا السلام بينكم

قال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها . .**﴾ وقال: ﴿**وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها . .**﴾.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أَوَ لاَ أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم . . » رواه مسلم.

السلام: اسم من أسماء الله ﴿**هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام . .**﴾. والإسلام دين السلام، وتحية المؤمنين فيما بينهم تكون بالسلام . .

وقد جاء الإسلام بتحيته الخاصة التي تميز المجتمع المسلم وتجعل كل سمة فيه متفردة متميزة لا تضيع وسط المجتمعات الأخرى ومعالمها.

جعل الإسلام تحيته (السلام عليكم) أو (السلام عليكم ورحمة الله)، أو (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته) . .

وهذا الدين القويم يحرص كل الحرص على تقوية أواصر الأخوة بين أفراد المجتمع المسلم وإشاعة المودة والمحبة فيما بينهم فأمر المؤمنين بالحرص على إفشاء السلام ورد التحية بأحسن

منها وهـذا هو خير وسيلة لتقـوية تلك العلاقـات وتنميتها . . وقــد سئل رسـول الله ﷺ أي الإســلام خير ؟ قــال : «تطعم الطعام، وتقـرأ السلام على من عـرفت ومن لم تعرف . . » متفق عليـه . . أي لا تخص بتحيتك أحــدا تكبرا أو تصنعـا بل سلم على من عـرفت ومن لم تعــرف من إخـوانك المسلمين مـراعـاة لأخوتهم، وهذا بلا شك سبـب في تآلف القلوب، واستجلاب المحبة «أَوَلاَ أدلكـم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشـوا السلام بينكم . . » .

وللســلام تأثير عجيب وسحـر غــريب في نفـوس من يلقى عليهم ؛ فأحيانا يكون بينك وبين أحد إخوانك أو أصدقائك أو زملائك شيء من الجفوة وفتور في المودة وعندما تبادر بطرح هذه التحية الطيبة المؤثرة «السـلام عليكم» تنفتح لها مغاليق القلوب ويصل تأثيرهـا إلى أعماق النفـوس وتتحـول الجفـوة إلى مـودة، والفتور إلى نشاط وحركة . .

ولهذا كـان السـلام سببًـا في دخـول الجنـة بـاعتبـاره وسيلـة التحـاب، والتحاب دليل الإيمان . . فـالسلام يـزيد في صفـاء القلوب وتـوثيق الصلة بين المتصـلين وتعـارف غير المتعارفين . . ويقطع الهجران ويصافي الإخوان . .

ولهذا قيل: أبخل الناس من بخل بالسلام. . لأنه لا يكلف شيئًا، وفيه من الفوائد والمصالح والثمار الشيء الكثير. .

وينبغي أن يصاحب طرح السلام على الناس بشاشة في الوجه وطلاقةٌ في المحيا. .

والسلام تحية المؤمنين منذ عهد آدم عليه السلام فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لما خلق الله آدم عليه السلام قال: اذهب فسلم على أولئك - نفر من الملائكة جلوس - فاستمع ما يحيونك به فإنها تحيتك وتحية ذريتك فقال: السلام عليكم فقالوا: السلام عليك ورحمة الله، فزادوه ورحمة الله» رواه البخاري ومسلم.

ومن آداب السلام ما أمرنا به الرسول ﷺ: إذا دخلت على أهلك فسلم عليهم تكن بركة عليك وعلى أهل بيتك. . وإذا كان البيت خاليا من السكان فسلم على نفسك بقولك: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين؛ لقوله تعالى: ﴿**وإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة**﴾.

ونظرًا لأهمية السلام فإن المسلم إذا غادر أصحابه ثم عاد فليسلم عليهم ولو لم يغب عن أنظارهم بقول الرسول ﷺ: «إذا لقي أحدكم أخاه فليسلم عليه، وإذا حالت بينهما شجرة أو

جدار أو حجر ثم لقيه فليسلم عليه أيضًا . . » رواه أبو داود .

ويسن السلام على الصبيان لتعويدهم وتدريبهم وتأليف قلوبهم فعن أنس رضي الله عنه أنه مر على صبيان فسلم عليهم، قال : كان رسول ﷺ يفعله . . متفق عليه . .

كذلك يسن السلام حين الدخول إلى المجلس، وحين الخروج منه فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول ﷺ : إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فليسلم فإذا أراد أن يقوم فليسلم فليست الأولى بأحقَّ من الثانية . . رواه أبو داود والترمذي . .

ويحسن أن نشير هنا إلى ما يفعله بعض الناس من تركهم لتحية الإسلام وهجرهم لها فإذا لقي أخاه المسلم بادره بتحية أخرى، كقوله : صباح الخير، أو: مساء الخير، أو: مرحبا، وما أشبه ذلك من أنواع التحايا التي يرددها بعض الناس - هداهم الله - بديلاً عن تحية الإسلام تحية أهل الجنة ﴿**تحيتهم يوم يلقونه سلام**﴾ . .

وما دام أن لهذه التحية العظيمة هذا التأثير، وتلك الفوائد، وذلك الأجر فينبغي على المسلم أن يحرص على إفشائها ونشرها . .

نسأل الله أن يرزقنا التحلي بخلق الإسلام، والتمسك بهديه وسننه، والالتزام بنهجه وشرعه، إنه سميع مجيب الدعاء .

(١٤) إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة..

قال الله تعالى: ﴿**إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا**. .﴾

وقال: ﴿**إنا الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها**. .﴾

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: بينما النبي ﷺ يحدث القوم جاءه أعرابي فقال: متى الساعة؟ فمضى رسول الله ﷺ يحدث. فقال بعض القوم: سمع ما قال فكره ما قال، وقال بعضهم: بل لم يسمع حتى إذا قضى حديثه قال: أين السائل عن الساعة؟ قال: ها أنا يا رسول الله، قال: إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة. قال: وكيف إضاعتها؟ قال: إذا وسِّدَ الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة. . رواه البخاري.

الأمانة كل ما أئتمن الله تعالى عباده عليه من تكاليف شرعية وواجبات دينية، وهي من أعظم الأمور وأثقل التكاليف وأخطر المسؤوليات، ولهذا أشفقت من حملها السماوات والأرض والجبال مع ضخامتها، أشفقت من أمانة التبعة أمانة الإرادة وحملها الإنسان هذا المخلوق الصغير بالنسبة إلى تلك المخلوقات والأجرام الهائلة، حملها هذا المخلوق القليل القوة الضعيف الحول المحدود العمر الذي تناوشه الشهوات

والنزاعـات والميول والأطماع وإنها لمخاطـرة أن يأخذ على عـاتقه هذه التبعة الثقيلة ومن ثم كان (ظلوما) لنفسه (جهولا) لطاقته.

إنها الإرادة والإدراك والمحاولة وحمل التبعـة هي هي ميزة هذا الإنسـان على كثير من خلق الله ﴿**ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقنـاهم من الطيبات وفضلنـاهم على كثير ممن خلقنا تفضـيلا..**﴾.

فليعرف الإنسان مناط تكريمه عند الله ولينهض بالأمانة التي اختارها وتحملها..

وقـد كان النبي صلـوات الله وسـلامه عليـه مضرب المثل في الأمـانة ويكفيـه أنه منـذ صغـره يتصف بذلك، وهـذا ما دعـا خديجة رضي الله عنهـا أن ترسله بتجارتها إلى الشـام فلما رأت ما يتحلى به من أمانة قبلت الـزواج منه ﷺ، وكان يعرف عند أهل مكة (**بالأمين**) وقد فصل في مسألـة وضع الحجر الأسود عنـدما اتفقوا أن يضعه أول داخل فكان الداخل محمد بن عبدالله فقالوا بصوت واحد: هذا الأمين رضيناه حكمًا.

ونظرًا لأهمية الأمانة وقيمتها الـرفيعة في ميزان الإسلام جعلها الله من صفـات المؤمنين يقول الحق: ﴿**قد أفلح المؤمنين الذين هم في صـلاتهم خاشعـون، والذين هم عن اللغـو معرضـون،**

والذين هم للزكـاة فاعلون . . ﴾. إلى أن يقـول عز من قـائل : ﴿**والذين هم لأمانـاتهم وعهدهم راعون . .** ﴾. أي مراعـون لها حريصون على القيام بها وتنفيذهـا، وهذا عام في جميع الأمانات التي هي حق لله وحق للعبـاد، فجميع ما أوجبـه الله على عبده أمانة يلزم العبد حفظها بالقيام التام بها وكذلك أمانات الآدميين كأمانات الأموال وأمانات الأسرار. .

ونظرًا لأهمية الأمانـة فيمن يولى أمرًا من أمور المسلمين طلبت ابنة شعيب من أبيها أن يستأجـر موسى للعمل عنده، وأشارت إلى أنه يملك مؤهلات عالية تؤهله للعمل ﴿**يا أبت استأجره إن خير من استأجـرت القوي الأمين . .** ﴾ تقول لأبيهـا : إن موسى أولى من يستأجـر فإنـه يجمع بين القـوة والأمانـة، وهما عنصران أساسيان ومطلبان ضروريان، وهذان الوصفان ينبغي اعتبارهما في كل من يتولى للإنسان عملاً. فإن الخلل لا يكون إلا بفقدهما أو فقد أحدهما . .

ولهذا عد الإسـلام خيانـة الأمانـة من صفات المنـافقين يقول الرسـول ﷺ: آية المنافـق ثلاث : إذا حدَّث كـذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أوتمن خـان . . متفق عليه . . ، وفي روايـة : وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم . .

ولهذا حذر الحق عـز وجل من خيانة الأمـانة ﴿**يا أيها الذين آمنـوا لا تخونـوا الله والـرسـول وتخونـوا أمـانـاتكم وأنتم تعلمون**. .﴾.

ونظرًا لأهميـة الأمانـة فإن فقدهـا وتضييعها مـؤشر على قرب قيام الساعة، ولكن كيف تضيع الأمانة؟ يجيب الرسول صلوات الله وسـلامه عليـه بقولـه «إذا وسِّـد الأمر إلى غير أهلـه فانتظـر السـاعـة» . . أي إذا أسند الأمـر إلى غير أهلـه ووكل إلى من لا يصلح لـه بأن لا تراعى الكفـاءة والأهلية والقـدرة والمواصفات العاليـة فيمن يولى أمـور المسلمين. بل إن الأمـور تسند إلى غير أهلها، وحقـا فإن الأمانة إذا ضـاعت، والمسؤوليـة إذا فقدت، والأمور إذا تقلـدها الجهّال أصبحت الحيـاة فوضى، ودلّ ذلك على قرب قيام الساعة، وقد أحسن من قال:

لا يصلح النـاس فـوضى لا سراة لهم
ولا سراة إذا جهـــالهم ســـادوا
تبقى الأمـور بأهل الرأي مـا صـلحت
فإن تـــولـت فبـــالأشرار تنقـــاد

نسأل الله عـز وجل أن يـوفقنـا لصالح الأعمال، وأن يـرزقنـا التقى والصلاح والاستقامة. .

(١٥) لئن شكرتم لأزيدنكم..

قال تعالى: ﴿**وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم، ولئن كفرتم إن عذابي لشديد**﴾ وقال: ﴿**وسيجزي الله الشاكرين**..﴾.

وكان الرسول صلوات الله وسلامه عليه يقوم الليل حتى تتفطر قدماه فقالت له عائشة رضي الله عنها: أتصنع هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «أفلا أكون عبدًا شكورًا..»

لقد حبانا المولى عز وجل وأكرمنا بنعم عظيمة وعطايا جليلة ومنح جزيلة يصعب حصرها وتعدادها ﴿**وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها**..﴾ وتفضل علينا من كرمه وجوده وفضله ﴿**وما بكم من نعمة فمن الله**..﴾ ومن أجلِّ هذه النعم وأعظمها نعمةُ الإسلام حيث شرع الله لنا هذا المنهج القويم الذي تستقيم في ظله الحياة وتستقيم في ظله النفوس فتشعر بسعادة عظيمة. وخصَّنا الله عز وجل بأفضل الكتب وخير الرسل صلوات الله وسلامه عليه وفضّلنا على كثير من خلقه ﴿**ولقد كرمنا بني آدم**..﴾ ورزقنا كثيرًا من الطيبات وأنعم علينا بنعم كبرى منها نعمة العقل وسلامة الخلق ﴿**لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم**..﴾، ونعمة الصحة «نعمتان مغبون فيهما كثير من

الناس: الصحة والفراغ» . . ، ونعمة الأمن والاستقرار والرخاء ورغد العيش وغيرها من أنواع النعم الوفيرة والخيرات الكثيرة.

وهذه النعم المتنوعة تزيد بالشكر ﴿**لئن شكرتم لأزيدنكم** . .﴾ إن شكر النعمة والثناء على المنعم المتفضل دليل على استقامة المقاييس في النفس البشرية. فالخير يشكر؛ لأن الشكر هو جزاؤه الطبيعي في الفطرة المستقيمة كما أن النفس التي تشكر الله على نعمه الظاهرة والباطنة فإنها ستراقبه عز وجل في التصرف بهذه النعمة بلا بطر، ولا استعلاء، ولن تستخدم هذه النعمة في الأذى والشر والدنس والفساد، وهذا المسلك السليم سيساعد على تزيكة النفس، ويدفعها للعمل الصالح والتصرف الصالح في النعمة بما ينميها ويبارك فيها . .

فالشكر إذًا سبب في زيادة النعمة ودوامها «لئن شكرتم لأزيدنكم . .» وفي الأثر. . «أهل الذكر أهل مجالستي، وأهل شكري أهل زيادتي» . .

وشكر النعمة يكون بالقلب واللسان والجوارح؛ وذلك بأن يظهر أثر نعمة الله على القلب شهودًا ومحبة، وعلى اللسان ثناءً واعترافًا بفضل الله وكرمه بترديد الحمد والشكر، وعلى الجوارح انقيادًا وطاعة؛ وذلك بأن يتعمل نعم الله في طاعته وألا

يستعين بها على معصيته . .

وكثير من الناس يجهلون قيمة شكر النعمة إما لجهل أو غفلة لعدم إدراكهم قدر تلك النعم ومقدار ما يملكونه منها . ولذا فإننا نرى بعض إخواننا المسلمين هداهم الله يعتقدون أن شكر النعمة إنما يكون باللسان فقط فتراهم يرددون «الحمد لله والشكر لله» دون وعي أو تفكير غير مدركين أن الشكر الحقيقي هو استعمال هذه النعمة في طاعة الله تعالى بل إن البعض من الناس يحصر النعم في ما يراه ويحسُّه من طعام وشراب ونحو ذلك ، ولا يعد ما سوى ذلك من النعم . يُروى أن بعضهم شكا فقره إلى بعض أرباب البصيرة وأظهر شدة اغتمامه بذلك فقال له : أيسرك أنك أعمى ولك عشرة آلاف درهم؟ قال : لا ، قال : أيسرك أنك أخرس ولك عشرة آلاف درهم ؟ قال : لا ، قال : أيسرك أنك أقطعُ اليدين والرجلين ولك عشرون ألفًا ؟ قال : لا، قال : أيسرك أنك مجنون ولك عشرة آلاف درهم ؟ قال : لا، قال : أما تستحي أن تشكو مولاك وله عندك عروض بخمسين ألف درهم ؟ .

هذه كلها من النعم التي أنعم الله بها على عباده ولكن الكثير لا يحسون بها ولا يعدونها من النعم جهلاً منهم وغفلة . .

والشكر مبني على خمس قواعد؛ هي:

خضوع الشاكر للمشكور، وحبه له، واعترافه بنعمته، وثناؤه عليه بها، وألا يستعملها فيما يكره..

وقد سئل الجنيد عن الشكر فقال: ألا يستعان بشيء من نعم الله على معاصيه هذا هو حقيقة الشكر الذي به تدوم النعم وتزداد.

وقد امتدح الله عددًا من أنبيائه ورسله لكونهم من الشاكرين فقال تعالى عن إبراهيم: ﴿**إن إبراهيم كان أمة قانتًا لله حنيفا ولم يك من المشركين شاكرا لأنعمه..**﴾ وقال عن نوح عليه السلام: ﴿**إنه كان عبدًا شكورًا**﴾ وهذا خاتم الأنبياء قدوتنا وإمامنا محمد بن عبدالله يقول: «أفلا أكون عبدًا شكورًا..».

ومن شكر النعمة التحدث بنعم الله.. ﴿**وأما بنعمة ربك فحدث**﴾، روى جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صنع إليه معروف فليجز به، فإن لم يجد ما يجزي به، فليثن، فإنه إذا أثنى عليه فقد شكره..»، وفي أثر آخر: «من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله، والتحدث بنعمة الله شكر وتركه كفر..».

وكما أن شكر النعمة بمعناه الحقيقي الذي أشرنا إليه يكون

سببا في زيادتها وحفظها من الزوال فإن كفر النعمة وجحودها يكون سببا في زوال النعمة كما يكون سببا في عذاب الله . . ﴿**ولئن كفرتم إن عذابي لشديد** . .﴾ والكفر بالنعمة قد يكون بعد شكرها أو بإنكار أن الله واهبُها ونسبتها إلى العلم والخبرة والكد الشخصي والسعي الدؤوب كأن هذه ليست من نعم الله . .

وقد يكون كفر النعم باستخدامها في غير ما شرع الله بالبَطَر والسَّرف والتبذير والكِبْر على الناس واستغلالها في الشهوات والفساد وكله كفر بنعمة الله . والعذاب الشديد الذي توعد الله به من كفر بنعمته قد يكون بزوال النعمة ومحقها عينا بذهابها أو سحق آثارها في الشعور، وقد يكون العذاب عذابًا مؤجلاً في الدنيا أو في الآخرة ولكنه واقع ؛ لأن الكفر بنعمة الله لا يمضي بلا جزاء، وينبغي أن يعلم الناس أن النعمة إذا لم تشكر زالت . نسأل الله عز وجل أن يكتبنا من الشاكرين، وأن يديم علينا نعمه الظاهرة والباطنة، وأن يرزقنا شكرها، إنه سميع مجيب .

(١٦) إن الله مع الصابرين

قال تعالى: ﴿**ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين . .**﴾ وقال: ﴿**واستعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين . .**﴾

وعن أبي يحيى صهيب بن سنان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن: إن أصابته سراءُ شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراءُ صبر فكان خيرًا له . .» رواه مسلم.

الصبر: حبس النفس عن الجزع والتسخط، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن التشويش . .

وللصبر مكانة عظيمة ودرجة رفيعة في ميزان الإسلام؛ سُئل الرسول ﷺ عن الإيمان فقال: «الصبر والسماحة . .»

ولهذا كان الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا إيمان لمن لا صبر له كما أنه لا جسد لمن لا رأس له . . وقال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه: «خير عيش أدركناه بالصبر». وقد أثنى الله عز وجل في كتابه العزيز على الصابرين في مواضع عديدة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**والصابرون في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون**﴾

ومن ثمار الصبر وفوائده محبة الله للصابرين جزاء صبرهم،

يقول تعالى: ﴿**والله يحب الصابرين**﴾، كما أن الله قد أوجب للصابرين معيته وهي معية خاصة تتضمن حفظهم ونصرهم وتأييدهم، ومن كان الله معه فلا خوف عليه يقول المولى عز وجل: ﴿**واصبروا إن الله مع الصابرين**﴾. وقد أخبر عز وجل أن التحلي بالصبر والتمسك به خير للمؤمن في دينه ودنياه يقول: ﴿**ولئن صبرتم لهو خير للصابرين**﴾. ويقول: ﴿**وإن تصبروا خير لكم**﴾. وفي الحديث: «وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له..» وأخبر ﷺ أن الصبر خير كله «ما أعطي أحدٌ عطاءً خيرًا له وأوسع من الصبر..» متفق عليه.

ومن فوائد الصبر، وثماره أن الصابر ينال بفضل صبره الإمامة في الدين يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين؛ ثم تلا قوله تعالى: ﴿**وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون**﴾.

ومن ثمار الصبر العظيمة أن الله يجزي على الصبر جنة عرضها السماوات والأرض. عن أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله عز وجل قال: إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه (يريد عينيه) فصبر عوضته منهما الجنة». رواه البخاري. وعن عطاء بن رباح قال: قال لي ابن عباس رضي

الله عنهما: «ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ فقال: بلى، قال: هذه المرأة السوداء أتت النبي ﷺ فقالت: إني أُصْرع وإني أتكشف فادع الله تعالى لي. قال: إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله تعالى أن يعافيك، فقالت: أصبر. فقالت: إني أتكشف فادع الله ألا أتكشف فدعا لها..» متفق عليه.

والإنسان في هذه الحياة لا يستغني عن الصبر في كل حال من الأحوال فيحتاج العبد إلى الصبر على الطاعات؛ لأن منها ما تستثقله النفس بسبب الكسل كالصلاة، ومنها ما تكرهه النفس بسبب حب المال والبخل كالزكاة، ومنها ما يُكره بسببها جميعًا كالحج والجهاد.. والعبد يحتاج إلى الصبر على الطاعات قبل العبادة وأثناء قيامه بها وبعد فراغه منها فيحتاج قبل العبادة إلى تصحيح النية والإخلاص والصبر عن شوائب الرياء. وأثناء العبادة يحتاج إلى الصبر لئلا يغفل عن الله ولا يتكاسل عن تحقيق الآداب والسنن، أو يفتر عن ذلك، وبعد الفراغ من العمل يحتاج إلى الصبر عن إفشائه والتظاهر به لأجل الرياء والسمعة وعن كل ما يبطل عمله فمن لم يصبر بعد أداء الصدقة عن المن والأذى أبطلها.. كما أن العبد يحتاج إلى الصبر ليحول

بينه وبين ارتكاب المعاصي خوفًا من الله عز وجل واستحياءً منه.

والمسلم أيضًا في أمس الحاجة إلى الصبر على ما يصيبه في هذه الحياة الدنيا من المصائب والمشكلات والهموم كموت الأحبة وضياع الأموال وزوال الصحة وسائر أنواع البلاء فالصبر على ذلك من أعظم أنواع الصبر فهو من أعلى المقامات؛ لأن سنده اليقين.. ﴿**وبشر الصابرين الذي إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون**﴾.

فالصبر على المصائب التي تصيب الإنسان في هذه الحياة هو أفضل وسيلة يواجه بها المؤمن كدر الحياة ونكدها فهو يحتسب كل ما يصيبه من هم أو غم أو نصب عند الله عز وجل.. يقول الرسول ﷺ: «إذا وجهت إلى عبد من عبادي مصيبة في بدنه أو ماله أو ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيامة أن أنصب له ميزانًا أو أنشر له ديوانا..»

والصبر الجميل هو الذي لا شكوى فيه ولا معه. أما الشكوى إلى الله عز وجل فلا تنافي الصبر فإن يعقوب عليه السلام وعد بالصبر الجميل ثم قال: ﴿**إنما أشكو بثي وحزني إلى**

الله . . ﴾، وإنما الذي ينـافي الصبر هو شكـوى الله لا الشكوى إليه، وقد سمع أحدهم رجلا يشكو إلى آخر فاقة وضرورة فقال له: يا هذا تشكو من يرحمك إلى من لا يرحمك، ثم أنشد:

وإذا أتتـك بليـــــةٌ فـــــاصبر لها
صبر الكـــــريم فإنـــــه بـك أعلمُ
وإذا شكـــــــــوت إلى ابـن آدم إنما
تشكـو الــرحيم إلى الـذي لا يــرحمُ

هذا هـو الصبر الذي يتسلى به المؤمن ويتعزى بـه الصالحون ويتقرب به العباد إلى ربهم عـز وجل فما أحوجنا إليه في كل وقت وحين وما أحـوجنا إليـه في هذا الشهـر الكريـم الذي قـال عنه رسول الله ﷺ إنه شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة.

نسأل الله عز وجل أن يجعلنا من الصـابرين المتقين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنـون، ونسأله أن يرزقنا إيمانًـا خالصًا، ويقينًا صادقًا؛ إنه سميع مجيب.

(١٧) الحياء خير كله..

عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «الحياء لا يأتي إلا بخير. .» متفق عليه.

وفي رواية لمسلم: «الحياء خير كله»، أو قال: «الحياء كله خير». .

هذا الدين كله خير وبركة، وما دلنا إلا على ما فيه خيرنا في الدنيا والآخرة فكل ما أمره الله به ورسوله من أقوال أو أفعال فإنها لمصلحتنا معشر العباد. . ومن ذلك خُلق الحياء.

والحياء في اللغة: تغيُّر وانكسار وانقباضٌ يعتري النفس الإنسانية من خوف ما يعاب به، وأصل الحياء من الحياة، ومنه الحيا للمطر، ولذلك قيل في الحيا: هو ماء الوجه. وأنشد الشاعر:

إذا قلَّ مـاء الـوجـه قل حيـاؤه
فـلا خير في وجـه إذا قل مـاؤه
حيـاءك فـاحفظـه عليك فإنمـا
يـدلُّ على وجـه الكـريـم حيـاؤه

والحياء في الشرع هو خلق سني يبعث على ترك الأمور القبيحة فيحول بين الإنسان وارتكاب المعاصي، ويمنعه من التقصير في حق ذي الحق. . ويدل على هذا المعنى الشرعي قول

النبي ﷺ: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستحي فاصنع ما شئت»، رواه البخاري.

والحياء خلق رفيع ومسلك عظيم يهذب النفوس ويزكيها..

ولقد كانت العرب في جاهليتها الأولى تستحي، فهذا أبو سفيان قبل إسلامه عندما وقف أمام هرقل ليسأله عن النبي ﷺ يحدث عن نفسه قائلاً: لولا الحياء من أن يأثروا عليّ كذبا لكذبت عليه..

وهذا عنترة العبسي الشاعر الجاهلي يقول:

وأغضّ طرفي إن بدت لي جارتي

حتى يواري جارتي مأواها

ويقول جرير

لولا الحياء لهاجني استعبارُ

ولزرت قبرك والحبيبُ يزارُ

فالحياء متأصل في الفطرة الإنسانية بل هو من الإيمان؛ عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ مرَّ على رجل من الأنصار وهو يعظ أخاه في الحياء فقال رسول الله ﷺ: دعه فإن الحياء من الإيمان.. متفق عليه. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون

شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان» . متفق عليه .

ولذا كان الرسول ﷺ من أشد الناس حياء بل كان أشد حياءً من العذراء في خدرها ، وإذا رأى شيئًا يكرهه عرف ذلك في وجهه . .

وهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه قال يوما وهو يخطب :

«أيها الناس استحيوا من الله ، فوالله ما خرجت لحاجة منذ بايعت رسول الله ﷺ أريد الغائط إلا وأنا مُقَنّعٌ رأسي حياء من الله . . ومن أشد الصحابة حياء عثمان رضي الله عنه . .

وهذا يدل على أن الحياء أول ما ينبغي أن يكون من الله عز وجل وقد حث الشرع على الاستحياء من الله حق الحياء فقال الرسول ﷺ : استحيوا من الله حق الحياء قالوا : إنا نستحيي يا رسول الله قال : ليس ذلكم ولكن من استحيى من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما وعى وليحفظ البطن وما حوى وليذكر الموت والبلى ، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا فمن فعل ذلك فقد استحيي من الله حق الحياء» . . رواه الترمذي

وقال يحيى بن معاذ : من استحيى من الله وهو مطيع استحيى الله منه وهو مذنب .

وكما أن الحياء ينبغي أن يكـون من الله في الدرجـة الأولى فإنه ينبغي أيضًا أن يكون من الناس؛ لأن من لا يـتحيي من الناس لا يـتحيي من الله . . فالواجب على العاقل أن يعود نفسه لزوم الحيـاء من الناس. وإن من أعظم بـركته تعـويد النفس ركـوب الخصال المحمـودة، ومجانبة الخصـال المذمومـة . . لأن المرء إذا اشتد حيـاؤه صان عـرضه ودفن مسـاويه ونشر محاسنـه، ومن ذهب حيـاؤه ذهب سروره، ومن ذهب سروره هان على النـاس ومقت ومن مقت أوذي، ومـن أوذي حـزن، ومن حـزن فقـد عقله، ومن أصيب في عقله كان أكثر قوله عليه لا له . .

ومن قلَّ حياؤه صنع ما شاء وقال ما أحبَّ . .

وقد أحسن الشاعر حينما قال:

إذا لم تخش عـــاقبـــة الليـــالي
ولم تـتحي فـــاصنع مـــا تشـــاء
فـــلا والله مـــا في العيـش خيرٌ
ولا الـــدنيـــا إذا ذهـب الحيـــاء
يعيـش المرء مـــا استحيـى بخير
ويبقى العـــود مـــا بقـي اللِّحـــاءُ

وهناك فرق بين الحياء والخجل فالحياء محمود والخجل مذموم

والحيـاء غـير مانـع للمسلم أن يقـول حقًـا أو يطلب علما أو يأمـر بمعـروف أو ينهى عن منكـر. . يقول الإمـام مجاهـد: لا يتعلم العلم مـتحيٍ ولا مـتكبر. . وقـالت عـائشـة رضي الله عنهـا: نعم نساء الأنصـار لم يمنعهن الحيـاء من أن يتفقهن في الدين. .

فالحيـاء فضيلـة من الفضائـل يجب الالتـزام بها لما لها من آثـار عظيمة على حيـاة الفرد والمجتمع. نسأل الله عـز وجل أن يـرزقنـا الحيـاء منه ومـن الناس ومـن أنفسنا لنسعـد في الـدنيـا والآخرة.

قال تعالى: ﴿**قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين**﴾. وقال: ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾.

العبادة: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة ﴿**قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين**..﴾ إنه التجرد الكامل لله عز وجل بكل خالجة في القلب وبكل حركة في الحياة كلها لله رب العالمين..

هذه هي العبادة بمفهومها الواسع ومعناها الشامل وأفقها الرحب؛ تشمل الحياة كلها لا كما يفهمها بعض الناس من أنها مجرد شعائر محدودة يؤديها الإنسان في أوقات معينة كالصلاة والزكاة وبقية الأركان الخمسة وما عدا ذلك من بقية وقت الإنسان وحياته فله حرية التصرف فيه دون مراقبة أو مساءلة. إن هذا الصنف من الناس يريد أن يحصر العبادة في المسجد فقط وما عداه فهو من شؤون الناس الخاصة ومن أمور دنياهم التي لا علاقة بالعبادة بها... بينما الحق عز وجل يقول: ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾. فبين عز وجل أن الحكمة من الخلق هي تحقيق معنى العبادة بمفهومها الشامل فمن قام بها وأداها فقد حقق غاية وجوده، ومن قصر فيها فقد أبطل

غـاية وجـوده . . وأصبح بلا وظيفـة وبـاتت حياتـه فارغـة من المقصد، خـاوية من معناهـا الأصيل الذي تستمد منـه قيمتها الأولى . . هذه الوظيفة التي تربط الجن والإنس بناموس الوجود هي العبـادة لله . أن يكون هنـاك ربٌّ يعبـد، وعبدٌ يعبُـد، وأن تـستقيم حياةُ العبد كلها على أساس هذا الاعتبار . .

وعلى هـذا فـالصلاة والـزكـاة والصيـام والحج، وصـدق الحديث، وأداء الأمانة، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود، والأمر بالمعـروف، والنهي عن المنكر، والجهاد بأنواعه المختلفـة، والإحسان للجـار واليتيم والمسكين، وابن السبيل، والدعـاء والذكـر والقراءة كل ذلك من العبـادة لله عز وجل . . وكذلك حب الله ورسـوله وخشية الله والإنابـة إليه، و إخلاص الدين له والصبر لحكمه والشكر لنعمـه والرضا بقضائه وقدره، والتوكل عليـه والرجاء لـرحمته والخوف من عذابـه، وأمثال ذلك هي أيضًا من صلب العبادة . . فهي شاملـة لما يقوم به العبد في هـذه الحياة . . فهي تشمل الفـرائض والأركـان الشعائريـة من صلاة وصيام وزكاة وحج . . كما تشمل ما زاد على الفرائض من ألوان التعبـد التطوعي من ذكر وتلاوة ودعـاء واستغفار وتسبيح وتهليل وتكبير وتحميـد . . وهي تشمل حسن المعـاملـة والوفـاء

بحقوق العباد كما تشمل الأخلاق والفضائل الإنسانية كلها من صدق وأمانة ووفاء، وغير ذلك من مكارم الأخلاق بل إنها تشمل الأخذ بالأسباب ومراعاة السنن التي أقام الله عليها الكون فكل ما أمر الله عباده به من الأسباب فهو عبادة..

فالعبادة إذًا تسع الحياة كلها وتنتظم أمورها قاطبة من بناء الدولة وسياسة الحكم وسياسة المال وشؤون المعاملات والعقوبات وأصول العلاقات الدولية في السلم والحرب إلى آداب الطعام والشراب وقضاء الحاجة.. فقد كان الرسول يعلم أصحابه كل شيء حتى آداب قضاء الحاجة..

فليست إذًا الصلاة أو الصيام أو الذكر - مع أهميتها العظيمة - هي التي تكتب لك عبادة في يومك وتستوجب بها الأجر عند ربك.. كلا إنك تستطيع في اليوم الواحد أن تضيف إلى رصيدك في الآخرة من الحسنات أشياء كثيرة لها ثقلها وقيمتها في ميزان الشرع، وإن بدت عندك هينة خفيفة.. فتبسمك في وجه أخيك صدقة، ولا تحقرن من المعروف شيئًا، ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق.. وإماطة الأذى عن الطريق صدقة.. والكلمة الطيبة صدقة.. وإن الرجل ليدرك بحسن خلقه منزلة الصائم القائم. وعيادة المريض وزيارة القريب والصديق،

وإصلاح ذات البين لك بكل هذه الأمور أجر عظيم وثواب جزيل؛ يقول رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا: بلى، قال: إصلاح ذات البين فإن فساد ذات البين هي الحالقة، وفي رواية: لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين». ويروي الشيخان عن النبي ﷺ قال: بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك فأخره فشكر الله له فغفر له. بل إن الأروع من ذلك كله أن تشمل العبادة الحاجات الضرورية التي يؤديها المسلم استجابة لدافع الغريزة البشرية فالأكل والشرب ومباشرة الزوج لزوجته يدخله الإسلام في دائرة العبادة بشرط واحد وهو النية الصالحة التي إذا أضيفت إلى ما يقوم به العبد المسلم في يومه وليلته من المباحات والعادات حولتها إلى طاعات وقربات يثاب عليها وتكتب له في ميزان حسناته. فالزارع في حقله، والعامل في مصنعه، والتاجر في متجره، والموظف في مكتبه، والطالب في مدرسته، والمعلم في فصله، وكل ذي حرفة في حرفته يستطيع أن يجعل من عمله المعاشي عبادة لله. بشروط منها: -

أن يكون العمل مشروعًا في نظر الإسلام، وأن تصحبه النية الصالحة، وأن يؤدي العمل بإتقان وإحسان، وأن يلتزم في

عمله حدود الله فلا يظلم ولا يخون، وأخيرًا ألا يشغله عمله الدنيوي عن واجباته الدينية يقول تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون**﴾، وقال في مدح المؤمنين: ﴿**رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة..**﴾

هذا هو المفهوم الحقيقي للعبادة لتشمل الحياة كلها وما فيها من حركات وسكنات فهي التوجه إلى الله بكل حركة في الضمير، وكل حركة في الجوارح، وكل حركة في الحياة، التوجه بها إلى الله خالصة، والتجرد من كل شعور آخر، ومن كل معنى غير معنى التعبد لله..

أسأله عز وجل أن يرزقنا التوفيق في القول والعمل، وأن يتقبل منا صالح أعمالنا، وأن يعاملنا بعفوه وكرمه ورحمته إنه سميع مجيب.

(١٩) إنـك لعلى خلـق عظيم..

قال الله تعالى: ﴿**وإنك لعلى خلق عظيم**..﴾

وعن عائشـة رضي الله عنها قـالت: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن المؤمن ليدرك بحسن الخلق منـزلة الصائم القائم..» رواه أبو داود..

الخلق هو الدين والطبعُ والسجية. هذا تعريفه في اللغة؛ أما في الاصطـلاح فهـو يطلق على الصفـة التي تقـوم بـالنفس على سبيل الـرسوخ ويـتحـق الموصوف بها المدح أو الـذم، ويطلق على التمسك بأحكام الشرع وآدابه فعلاً وتركًا..

ولا بـد لأي أمـة من الأمم من مـوازين أخـلاقيـة وضـوابط سلوكية تحكم تصرفات أفراد تلك الأمة ويسيرون على نهجها..

ونحن أمـة الإسـلام ننفرد عن الأمم الأخـرى بأننـا نسير على مناهج أخلاقيـة سامية رسمها لنا ديننـا الحنيف وفصَّلها كتابُ ربنا وسنة نبينـا صلوات الله وسلامه عليـه والتزم بها سلف هذه الأمة وسار عليها خلفُها..

وأعظم نمـوذج إنساني في التحلي بالأخـلاق الفاضلـة والقيم الرفيعة هو نبيُّ هذه الأمة محمد بن عبدالله ﷺ.

فقد امتدح القرآن مـا يتحلى به المصطفى ﷺ من سلوك حميد وأثنى على ما يتصف به عليه السلام من خلق رفيع ﴿**وإنك لعلى**

خلق عظيم . . ﴾ وهذه شهادة من الله في ميزان الله لعبده ورسوله محمد بن عبدالله . . وهذا الخلق العظيم هو الذي أهَّل المصطفى صلوات الله وسلامه عليه لتحمل هذه الرسالة الأخيرة بكل عظمتها . . إن هذه الرسالة من الكمال والجمال والعظمة والشمول والصدق والحق بحيث لا يستطيع حملها إلا الرجلُ الذي يثني عليه الله هذا الثناء فيكون العبد الطائع والمبلغ الأمين . . والله أعلم حيث يجعل رسالته . .

لقد نشأ ﷺ من أول أمره إلى آخر لحظة من لحظات حياته متحليًا بكل خلق كريم مبتعدًا عن كل وصف ذميم فهو عليه السلام أعلم الناس وأفصح الناس لسانًا وأقواهم بيانًا وأكثرهم حياءً يضرب به المثل في الصدق والأمانة والعفاف أدَّبه الله فأحسن تأديبه فكان أرجح الناس عقلاً وأكثرهم أدبًا وأوفرهم حلمًا وأصدقهم حديثًا وأكملهم قوة وشجاعة وأوسعهم رحمة وشفقة وأكرمهم نفسا وأعلاهم منزلة . وخلاصة القول فإن كل خلق محمود يليق بالإنسان فله ﷺ منه القسط الأكبر والحظ الأوفر. وكل وصف مذموم فهو أسلم الناس منه وأبعدهم عنه شهد له بذلك العدو والصديق . . «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق . . » ﴿**لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه**

ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم . . ﴾

ويحسن أن نشير هنا إلى بعض أخلاقه لنستقي منها الدروس ونأخذ منها العبر. كان ﷺ أشدَّ الناس تواضعًا وأقربهم إلى الضعيف والمسكين، وأبعدهم عن الكِبْر والترفع . . روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: لو دُعيت إلى ذراع أو كراع لأجبت، ولو أهدي إلى ذراع أو كراع لقبلت . . وكان ﷺ إذا مر بالصبيان سلم عليهم . . وكان رحيمًا بأمته رفيقًا بهم شفيقًا عليهم وكان يقول: إذا صلى أحدكم للناس فليخفف فإن فيهم الضعيف والسقيم والكبير. . وكان من أكثر الناس حلمًا وعفوًا؛ روى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجبذه بردائه جبذة شديدة فنظرت إلى صفحة عاتق النبي ﷺ وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جبذته ثم قال: يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه فضحك ثم أمر بعطاء . . متفق عليه . .

هذه نماذج من أخلاقه وقد سجل التاريخ وكتب السيرة صفحات مشرقة من نور تشهد له بما أثنى عليه الله به من خلق عظيم . .

وحسن الخلق من أسباب دخول الجنة فقد سئل الرسول صلوات الله وسلامه عليه عن أكثر ما يدخل الناس الجنة فقال : تقوى الله ، وحسن الخلق . . وأحب الناس إلى رسول الله وأقربهم منه منزلاً يوم القيامة أحسنهم أخلاقا . .

ونحن أمة الإسلام أولى الناس بالتحلي بالأخلاق الفاضلة تأسيًا برسولنا صلوات الله وسلامه عليه فهو قدوتنا وأسوتنا ؛ فالتحلي بالخلق الكريم عبادة نتوجه بها إلى الله عز وجل إضافة إلى كونه مظهرًا حضاريًّا رائعًا تقوم على أساسه الأممُ وتتعامل به الشعوب ، ونحن من أكبر أمم الأرض رصيدًا أخلاقيًا . .

فإنما الأممُ الأخلاق ما بقيت

وإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وأي أمة أو مجتمع يعيش بلا أخلاق فإن مصيرها إلى الهلاك والزوال والانهيار. .

نسأل الله عز وجل أن يرزقنا الخلق الحسن ، ويوفقنا للتأسي برسولنا صلوات الله وسلامه عليه .

أوصى أبو بكر الصديق رضي الله عنه يزيد بن أبي سفيان رضي الله عنه حين وجهه لفتح الشام قال له: «إني قد وليتك لأبلوك وأجربك، فإن أحسنت رددتك إلى عملك وزودتك، وإن أسأت عزلتك، فعليك بتقوى الله فإنه يرى من باطنك مثل الذي يرى من ظاهرك، وإن أولى الناس بالله أشدهم توليا له، وأقرب الناس من الله أشدهم تقربًا إليه بعمله وقد وليتك عمل خالد فإياك وعبية الجاهلية فإن الله يبغضها ويبغض أهلها، وإذا قدمت على جندك فأحسن صحبتهم وابدأهم بالخير وعدهم إياه، وإذا وعظتهم فأجز فإن كثير الكلام ينسي بعضه بعضا، وأصلح نفسك يصلح لك الناس وصلِّ الصلوات لأوقاتها بإتمام ركوعها وسجودها والتخشع فيها، وإذا قدم عليك رسل عدوك فأكرمهم وأقلل لبثهم حتى يخرجوا من عسكرك وهم جاهلوك بعسكرك، ولا تزِّيثهم فيروا خللك ويعلموا علمك وأنزلهم في ثروة عسكرك وامنع من قبلك من محادثتهم وكن أنت المتولي لكلامهم ولا تجعل سرَّك لعلانيتك فيختلط عليك أمرك، وإذا استشرت فاصدق الحديث تُصدق في المشورة، ولا تخزن عن المشير خبرك فتؤتى من قبل نفسك، وأسمر بالليل مع أصحابك

تأتك الأخبار، وتنكشف عندك الأستار، وأكثر من حرسك وبددهم في عسكرك، وأكثر من مفاجآتهم في محارسهم بغير علم منهم بك فمن وجدته غفل عن محرسه فأحسن أدبه وعاقبه في غير إفراط، وأعقب بينهم بالليل واجعل النوبة الأولى أطول من الأخيرة فإنها أيسرهما لقربها من النهار، ولا تخف من عقوبة المستحق، ولا تلجن فيها، ولا تسرع إليها، ولا تغفل عن أهل عسرك فتفسده، ولا تجس عليهم فتفضحهم، ولا تكشف الناس عن أسرارهم، واكتف بعلانيتهم، ولا تجالس العيَّاثين، وجالس أهل الصدق والوفاء وأصدق اللقاء، ولا تجبن فيجبن الناس، واجتنب الغلول فإنه يقرِّب الفقر ويدفع النصر، وستجدون أقواما حبسوا أنفسهم في الصوامع فدعهم وما حبسوا أنفسهم له».

أول ما أوصى به خليفة المسلمين قائد جيشه: تقوى الله ومراقبته عز وجل لأنه سبحانه يطلع على الباطن كما يطلع على الظاهر. وكلما كان العبد مراقبًا لله عز وجل كان سببًا في إحراز النصر.

بعد ذلك أوصاه بأن تكون علاقته بجنده علاقةً متينةً منطلقة من مبادئ الإسلام «المسلم أخو المسلم» فعلى القائد أن يحسن

صحبة جنده، وأن يبدأهم بالخير ويبشرهم به ليريح نفوسهم، ويدخل عليها السرور والأنس. وإذا ما احتاج القائد أن يعظ جنده أو يتحدث معهم في بعض القضايا المهمة فعليه بالإيجاز قدر المستطاع والابتعاد عن الإطالة.

ثم أوصاه بأن يكون قدوة صالحة لجنده في حركاته وسكناته، وكل تصرفاته فلن يصلح الناس له إلا إذا سعى في إصلاح نفسه. ثم ذكَّره بذلك الركن العظيم من أركان الإسلام ألا وهو الصلاة ثم أرشده إلى معاملة رسل عدوه؛ وذلك بأن يقوم بإكرامهم، وأن يحسن استقبالهم وألا يحرص على إطالة مُكثهم في عسكر المسلمين لئلا يتعرفوا على بعض الأسرار أو الخطط العسكرية المرسومة، وأن يعودوا كما جاءوا جاهلين بكل ما يتعلق بعسكر المسلمين على أن تكون إقامتهم وطريق مرورهم في مكان يكثر فيه جند المسلمين لتظهر قوتهم وتبدو شكيمتهم فيخشاهم عدوهم ثم رسم له تنظيم المعسكر، وأوصاه بأن يكثر من الحراس على أطراف المعسكر ليكونوا عيونًا ساهرة تراقب كل ما يدور في المعسكر وخارجه ثم على القائد أن يقوم أحيانًا بزيارات مفاجئة للحراس في أماكن حراستهم ليرى أحوالهم فمن رآه قد قصَّر في أداء الواجب حاسبه وأدبه وعاقبه.

بعد هذا أوصاه بحسن اختيار جلسائه وأصحابه بأن يكونوا من أهل الاستقامة والصلاح، وختم الوصية بالنهي عن الغُلُول، وهو إخفاء شيء من الغنيمة قبل القسمة فإن الغلول من عوامل الهزيمة فهو يقرب الفقر ويدفع النصر. . .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بادروا بالأعمال سبعا هل تنتظرون إلا فقرًا منسيًا، أو غنى مطغيا، أو مرضا مفسدًا، أو هرما مفندًا، أو موتًا مجهزا، أو الدجال فشر غائب ينتظر، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر..» رواه الترمذي وقال: حديث صحيح.

وقال الحسن البصري: «أدركت أقواما كان أحدهم أشح على عمره منه على درهمه..»

الوقت هو الحياة هو تلك الدقائق والساعات، والتي تشكل في مجموعها عمر الإنسان. الوقت هو الليل والنهار الذي يمر علينا أسرع من البرق الخاطف، وكل ساعة تمر بل كل يوم يمضي هو محسوب من أعمارنا فإن أحسنا استغلال تلك الأوقات بما ينفعنا في الدنيا والآخرة كنا من الفائزين السعداء، وإن فرطنا وتمنينا على الله الأماني، وأكثرنا من التسويف ندمنا يوم لا ينفع الندم.. ووجدنا خزائن أعمالنا فارغة.. ووقفنا عاجزين حائرين لا نستطيع الجواب على الأسئلة التي ستوجه إلى كل واحد منا يوم يلقى ربه.. «لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع خصال: - عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه،

وعن عمله ماذا عمل به . . »

وهكذا سيسأل الإنسان عن عمره عامة، وعن مرحلة الشباب بشكل خاص . والشباب جزء من العمر ولكن له قيمة متميزة باعتباره سن الحيوية الدافقة والعزيمة الماضية؛ فهو مرحلة قوة بين ضعفين ضعف الطفولة وضعف الشيخوخة وعجزها ﴿**الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة**﴾ .

وهذه النفس البشرية التي بين جنبيك من أعدى أعدائك . . ﴿**وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء** . . ﴾ إن لم تشغلها بالحق والخير والعمل النافع شغلتك بالباطل . والنفس التي تفرغ من الجد وأخذ الأمور بما تستحق من حزم وعزم تنتهي إلى حالة من التفاهة والجدب والانحلال فلا تصلح للنهوض بعبءٍ ولا الاضطلاع بواجب، وتغدو الحياة فيها هينة رخيصة . .

والإسلام يوصينا بمجاهدة النفس ومجالدتها وحملها على معالي الأمور ويطلب منا أن نبادر بالأعمال في أوقات الصحة والفراغ والشباب والقوة والنشاط لئلا يأتينا ما يشغلنا ويلهينا، ويصرفنا عن العمل الجاد المثمر من فقر أو غنى أو مرض أو كبر

أو موت ونهاية حياة . .

وقد كـان سلفنا الصـالح رضوان الله عليهـم يعرفون للـوقت قيمتـه وللحياة أهميتهـا . فهذا عبـدالـرحمن بن تيمية يقـول عن أبيه : «كـان الجد إذا دخل الخلاء يقـول لي اقرأ في هـذا الكتاب وارفع صوتك حتى أسمع . . »

وهذا ابن عقيل الحنبلي يقول : «إني لا يحل لي أن أضيع ساعة من عمري حتى إذا تعطَّل لساني عن مذاكرة ومناظرة، وبصري عن مطالعة أعملت فكري في حال راحتي وأنا مستطرح . . »

هذه بعض مـواقف سلفنا الصالح رحمهم الله فحيـاتهم كلها جهـاد ومجاهــدة، وصبر ومصـابـرة، وعمل نــافع، ونشـاط متواصل، وهمة عالية، وجد ومثابرة . .

أما نحن فقـد اغتررنا بطـول الأمل وكما يقول الحسن البصري رحمه الله : «ما أطال عبـدٌ الأمل إلا أساء العمل» . وصدق رحمه الله . . فالأمل يكسل عن العمل ويورث التراخي والتواني ويثمر التشاغل والتقاعس . .

وهذا هـو حال أكثر المسلمين اليوم يعيشـون على طول الأمل ويمنُّـون أنفسهم بالسين وسـوف، سأفعل وسوف أفعل، ومـا يـدري هـذا المسكين متى يختطفـه الموت أو يقعـده المرض، أو

يشغله الفقرُ، أو يصيبه الهرم . .

كم من الساعات نضيع، وكم من الأوقات نهدر، وكم من الليالي والأيام نقتل عن عمد وتربص وسبق إصرار. ترى مجموعة من الناس يتشاغلون ويضيعون أوقاتهم سدى فيما لا ينفعهم في دنياهم وأخراهم، فإذا ما سألتهم: لم هذا؟ قالوا: نقتل الوقت!! وما درى هؤلاء المساكين أنهم إنما يقتلون أنفسهم فالوقت هو الحياة وهو عمر الإنسان في الحقيقة وهو يمر مر السحاب، فما كان من وقته لله وبالله فهو السعيد الموفق. أما غير ذلك فليس محسوبا من عمره وإن عاش فيه فإن الإنسان إذا قطع وقته بالغفلة والسهو والأماني الباطلة فموته حينئذ خير من حياته . .

وما المرء إلا راكبٌ ظهرَ عُمره
على سفر يفنيه باليوم والشهر
يبيت ويضحي كل يوم وليلة
بعيدا عن الدنيا قريبا إلى القبر

يحسن بنا ونحن نعيش أيام هذا الشهر الكريم ولياليه المباركة أن نراجع أنفسنا، وأن نحاسبها، وأن نحرص على الاستفادة من ليالي هذا الشهر وأيامه، وأن نملأها بما ينفعنا من قراءة وذكر

وصلاة وعمل صالح مفيد، ومن ثم ننطلق من هذا الشهر بتصور جديد يرسم لنا حياة جديدة كلها عمل خيّر، ونشاط كبير وهمة عظيمة. نسأل الله عز وجل أن يتقبل منا صيامنا وقيامنا، وأن يرزقنا سعادة الدنيا والآخرة؛ إنه سميع مجيب.

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿**اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما، وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور**﴾.

وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ مر بالسوق والناس كَنَفَتَيْه (أي عن جانبيه) فمر بجدي أسكّ ميت (والأسك الصغير الأذن) فتناوله وأخذ بأذنه ثم قال: أيكم يحب أن يكون هذا له بدرهم؟ فقالوا: ما نحب أنه لنا بشيء وما نصنع به؟ ثم قال: أتحبون أنه لكم؟ قالوا: والله لو كان حيا كان عيبا أنه أَسكّ فكيف وهو ميت، فقال: «فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم». رواه مسلم.

هذه هي الدنيا الفانية التي يتسابق الناس عليها هذه هي حقيقتها كما يصورها القرآن «لعب ولهو وزينة» ﴿**وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور**﴾ وهي حينما تقاس بالآخرة تبدو شيئًا زهيدًا تافهًا. أما الآخرة فلها شأن غير هذا الشأن شأن يستحق أن يحسب حسابه، وينظر إليه ويستعد له فهي لا تنتهي في لمحة كما تنتهي الحياة الدنيا، وهي لا تنتهي إلى حطام كذلك

النبـات البالـغ أجله . إنها حسـاب وجـزاء وجنـة ونار وخلـود ودوام . .

والدنيا حينما توضع في إطارها الصحيح ووصفها المناسب لها فإنها حينئذ تكون عونا لـلإنسان وطريقا إلى الآخرة . وقد ورد في الحديث «نعم المال الصالح في يـد العبد الصالح» . . وقـد كان كثير من السلف الصـــالح أغنيـــاء أمثـــال عثمان بـن عفـــان وعبدالرحمن بـن عوف بيد أن الدنيا كـانت في أيديهم ولم تكن في قلوبهم فلما دعـوا إلى التضحية والبذل والجهاد تسـابقوا إلى ذلك وتنازلوا عنهـا وما ظنوا بها . فقد تنازل أبو بكـر الصديق مرة عن كل مالـه ، ولما سئل : ماذا أبقيت لأهلـك؟ أجاب : أبقيت لهم الله ورسوله . وجهز عثمان بن عفـان رضي الله عنه الجيش كله في إحدى الغزوات من مالـه الخاص حتى قال عنه النبي ﷺ : «ما ضر عثمان ما فعـل بعد اليوم» . . وتنـازل صهيب الرومـي عند الهجرة عـن كل ماله لئـلا يحول ذلك بينه وبين الهجـرة حتى أن النبي ﷺ قال له : ربح البيع أبا يحيى ، ربح البيع أبا يحيى .

يتضح من هـذه المواقف المشرفـة أن الإسـلام لا يحارب المال لـذاته فليس بينـه وبين المال عـداوة بل إن الإسلام يعتني بأمـر المال ولكنـه يحذر من إنفاقـه أو كسبـه من طرق غير مشروعـة ،

ووسائل كسب محرمة . . «لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع» . . وذكر منها : «المال من أين اكتبه وفيم أنفقه؟»

إن العمل الشريف بقصد كسب المال الحلال يعد من ضروب العبادة التي يثاب فاعلها «كفى المرء إثما أن يضيِّع من يعول»

إن النفقة على العيال من الأهل والولد والوالد ونحو ذلك من أفضل ما يقوم به المسلم لما في ذلك من كفايتهم وصيانتهم من ذلّ السؤال والضياع . .

وللمسلم أن يصيب من الدنيا ما يشاء بشرط أن يكون ذلك من طريق مشروع يقره الإسلام ويرضى عنه . . وكذلك أن تكون هذه الدنيا بما فيها في كف المسلم لا في قلبه خشية أن يتعلق بها قلبه فيصعب بعد ذلك انتزاعها منه . .

والدنيا إذا تنافس فيها المتنافسون، وتصارع فيها المتصارعون ونسوا حقيقتها وواقعها فإنها حينئذ تكون سببًا في هلاكهم . . «والله ما الفقر أخشى عليكم ولكني أخشى أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم» . متفق عليه .

وعلمنا الإسلام ألا ننظر إلى من فضله الله علينا وأعطاه سعة في الرزق بل علينا أن نشكر نعمة الله علينا وننظر إلى من هو أسفل منا لنعرف قدر نعمة الله علينا . . والمرء ماله من هذه الدنيا إلا ما أكل فأفنى أو لبس فأبلى أو تصدق فأمضى . .

وصدق الشاعر حيث قال :

ولست أرى السعـــادة جمع مـــال
ولكـن التقي هـــــو السعيـــد

وعجيب ما نراه اليوم من أحوال كثير من المسلمين الذين يقضون نهارهم وشطرًا من ليلهم في جمع المال، وهمّ الواحد منهم أن يزيد رصيده في البنك كل ذلك على حساب آخرته فتراه يركض لاهثًا صباح مساء غير عابئ بأهله ورعايتهم وأولاده وتربيتهم .

إن مثل هذا يحتاج إلى وقفة جادة يراجع فيها نفسه ويوازن بين متطلبات دينه ودنياه ﴿**وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا** . .﴾ قبل أن يفاجئه الأجل، ولا ينفعه آنذاك الندم . .

يقول الحق عز وجل: ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**..﴾ وقال: ﴿**ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون**..﴾

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان..» رواه مسلم.

ومن مزايا الإسلام وخصائصه حرصه على بقاء المجتمع الإسلامي نقيا من المساوئ خاليا من المثالب والعيوب الجارحة مجتمعًا نظيفًا تسود أفراده المحبة، ولكي يتم ذلك شدد الإسلام على قضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أي على حمل أفراد المجتمع على اتباع ما أمر الله به وسنَّة رسوله الكريم والابتعاد عما نهى الله عنه وأمر باجتنابه.. ﴿**ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر**..﴾ لا بد من سلطة تأمر وتنهى، سلطة تقوم على الدعوة إلى الخير والنهي عن الشر.. والدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تكليف ليس باليسير لكونه يصطدم بشهوات الناس ونزواتهم،

ورغبات الناس ومحبوباتهم، ومصالح بعض الناس ومنافعهم؛ لأن النفس البشرية تميل إلى الدعة والتراخي والكسل؛ ففي الناس الهابطُ الذي يكره الصعود، والهازل الذي يكره الجد، والظالم الذي يكره العدل، والمنحل الذي يكره الاستقامة، وفي الناس من ينكرون المعروف ويعرفون المنكر. . ولهذا كان لا بد من سلطة تدعو إلى الخير وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر. وهو أمر بلا شك شاق وعسير ولكنه مأمون العاقبة ومضمون النتائج إن شاء الله . .

ونظرًا لأهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جعله الله من صفات رسوله ﷺ. . ﴿**الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر**. .﴾. كما جعله الله عز وجل صفة ملازمة للمؤمنين ﴿**المؤمنين والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر**. .﴾ كما جعله الله من أوجب واجبات من مكنه الله في الأرض ﴿**الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور**﴾.

وشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أسباب تماسك

سفينة المجتمع ، واستقرارها في هذه الحياة فالناس في هذا الكون يـــجـون في سفينة واحـدة ، وإن حـاول أحـد من ركاب هـذه الـسفينة خـرقها والعبث فيها وتـركه من معه من ركـاب الـسفينة فإنـه بـذلك سيعـرض السفينـة للغـرق وسـيهلك كل من فيهـا الصالح والفـاسد وإن قام عليـه الصالحون العقـلاء ومنعوه من الإفسـاد وأخـــذوا على يـديـه فإن السفينـة ستسلـم من الغـرق وستنجو وينجو من بها من الـركاب وستصل بهم إن شاء الله إلى شاطئ الأمان وساحل السلامة . .

وقد صـور المصطفى ﷺ هذه الصـورة تصويـرًا فريـدا رائعًا فقال : «مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب قوم أعلاها وأصاب قوم أسفلها وكان الذين في أسفلهـا إذا استقوا الماء مـروا على من فوقهـم فقالـوا : لو أنَّـا خرقنـا في نصيبنا خرقـا ولم نؤذ من فـوقنا فإن تركـوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا وإن أخذوا على أيـديهم نجوا ونجوا جميعًا . . » رواه البخاري .

والقيام بـواجب الأمر بـالمعروف والنهي عن المنكـر سبب في سعادة الأمـة واستقرارها ، ومصـدر من مصادر أمنهـا وأمانها . وقد عـده الإسلام من الجهاد . . روى أبـو سعيد الخدري رضي

الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنـه قال: «أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر. .»

والمسلم مأمـور بالأمـر بالمعـروف حسب قدرتـه واستطاعتـه ومـوقعـه ومسـؤوليتـه «من رأى منكم منكـرًا فلغيره بيـده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان».

أما التخلي عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باسم الحرية الشـخصية وعـدم التدخل في شؤون الآخـرين فإن هذا ليس من الإسلام في شيء بـل إن عواقبـه وخيمة ونتـائجه مـرة (. . والذي نفسي بيده لتأمرون بالمعـروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابـا منه ثم تدعونه فـلا يستجاب لكم. .) وأي شيء أكبر وأخطـر على الأمـة من تسليـط العقـاب عليهـا وعدم استجابة دعاء صالحيها وأخيارها؟. وورد في حديث آخر «إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه». .

ولن تعود لـلإسلام هيبته وعزه ومجده ما لم تقم الأمـة بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بشكل صحيح بإخلاص وتجرد فهو صمام الأمـان وهو الطـريق لعودة المسلمين أعـزه بعد ذلهم وأقوياء بعد ضعفهم.

قال تعالى: ﴿**خذ من أموالهم صدقة تطهركم وتزكيهم بها..**﴾

وقال: ﴿**وفي أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم**﴾..

ويقول المصطفى ﷺ: «بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان..» متفق عليه.

الزكاة هي ذلك الركن العظيم من أركان الإسلام ونظرًا لأهميتها ومكانتها في الإسلام جاءت مقرونة بالصلاة.. وقد امتدح الله المؤمنين وجعل من صفاتهم أنهم يخرجون زكاة أموالهم.. ﴿**قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذي هم للزكاة فاعلون**﴾.

وقال تعالى: ﴿**آلم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون**﴾.

وجاءت العبارة في السياق القرآني ﴿**رزقناكم**﴾ لتدل على أن الرازق هو الله فالمال مال الله استخلفنا فيه ﴿**وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه..**﴾ فالمسلم معترف بأن الرازق هو الله وهذا الشعور يبعث عنده كوا من الخير والبر بضعاف الخلق، والتضامن بين المخلوقين، والشعور بالآصرة الإنسانية،

وبالأخوة البشرية وقيمة هذا كله تتجلى في تطهير النفس من الشح وتزكيتها بالبر وقيمتها أنها ترد إلى الحياة مجال التعاون على الخير لا معترك التطاحن، وأنها تؤمن العاجز والقاصر والضعيف وتشعرهم بمكانتهم في المجتمع الذي يعيشون فيه، وأنهم داخل قلوب ووجوه ونفوس لا بين مخالب وأظفار وأنياب . .

والعجيب في أمر الإنفاق من زكاة وصدقة أن ما تنفقه مردود إليك أمنًا وحبًّا ونماءً وطهرًا وزيادة «اللهم أعط منفقًا خلفًا وأعط ممسكًا تلفًا . . » ﴿**خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها . .**﴾ (ما نقص مال من صدقة بل تزده . .)

فالله حينما يطلب منك أيها العبد المسلم أن تخرج هذا القدر اليسير والمبلغ الزهيد لإخوانك المحتاجين فإنه بهذا يحوطك ويفتديك ويربط بين أفراد المجتمع برباط وثيق هو رباط التكافل والتعاطف والرحمة . . (والراحمون يرحمهم الرحمٰن) .

فالحكمة من فرضية الزكاة على الموسرين من أصحاب الأموال تتلخص في الآتي : -

١ - تطهير النفس البشرية من رذيلة البخل والشح والشره والطمع .

٢ - مواساة الفقراء والمساكين والمحتاجين وسد حاجة المعوزين والمحرومين.

٣ - إشاعة روح التعاون والتكافل في المجتمع المسلم.

٤ - إقامة المصالح العامة التي تتوقف عليها حياة الأمة وسعادتها.

٥ - التحديد من تضخم الأموال عند الأغنياء وتكون دولة بينهم..

ولذا فإنه ينبغي على المسلم أن يخرج زكاة ماله، وأن يتصدق على الفقراء والمساكين، وأن يحمد الله ويشكره على ما تفضل به عليه من رزق ليعود ذلك كله عليه زيادة ونماء وبركة.. وأن يقوم بإخراج هذا الحق لمستحقه عن رضى وطيب نفس ﴿**وفي أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم**..﴾ كما أن عليه أن ينفقها سرا حفاظا على شعور الفقراء والمحتاجين ﴿**وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم**﴾. وفي الحديث «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، وذكر منهم رجلاً أنفق نفقة حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه».. كما أن على المسلم ألا يتبع ما أنفق من زكاة أو صدقة منا أو أذى لأن ذلك يحبط أجر تلك العبادة ﴿**ولا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى**..﴾ ويحسن أن يكون ذلك

المنفق من خير ما عنده فإن الله طيب لا يقبل إلا طيبا ﴿**لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون . .**﴾

كما يحسن بالمنفق أن يقدم في العطاء أقرباءه وأرحامه؛ فالأقربون أولى بالمعروف يقول الرسول ﷺ: أفضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح . . والكاشح هو الذي يضمر العداوة لقريبه الغني . .

وعلى الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله ويترددون في إخراج زكاة أموالهم أن يعلموا علم اليقين أن الله قد توعدهم بعذاب أليم وعقاب شديد جزاء شحهم وبخلهم وعدم استجابتهم لأمر الله . . ﴿**إن الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون**﴾. نقول لهؤلاء: إن الزكاة هي باب النعمة النامية والعطاء الممتد . . ونقول لهم: إن زمام المال ليس بيدك وإنما هو بيد الله يقبض ويبسط وإليه ترجعون. ونقول لهم: إن الموت نهاية كل حي، ومن مات فإنه لن يرجع إلى هذه الدنيا مرة أخرى، وسيكون مالُه من نصيب غيره . . ﴿**وما يغني عنه ماله إذا تردى**﴾.

ونقول أخيرًا: إن الممتنع عن دفع زكاة مـاله لا يضر إلا نفسه ﴿**سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة . .**﴾

فهل بقي بعد هذا من عذر لممتنع عن دفع زكاة ماله بعد كل هذا الوعيد من رب العباد الرازق؟

(٢٥) اندفعوا باسم الله..

هذا نموذج مشرف من وصايا صحابة رسول الله ﷺ أولئك الذين تخرجوا من مدرسة النبوة وتلقوا فيها علومهم ومعارفهم. لقد تتلمذوا على المعلم الأول فجاءت خطبهم ووصاياهم قوية المضمون، ناصعة البيان، سلسة العبارة، واضحة المقصد، لا تكلف فيها ولا التواء تستمد قوتها وجمالها من خطب رسول الله ﷺ.

ومن هذه الوصايا وصية أبي بكر الصديق رضي الله عنه لأسامة بن زيد رضي الله عنه وجيشه حينما سيّره إلى «أُبْنَى» بالضم ثم السكون وفتح النون قال له: «يا أيها الناس قفوا أوصيكم بعشر، فاحفظوها عني: لا تخونوا، ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثِّلوا ولا تقتلوا طفلاً صغيرًا ولا شيخًا كبيرًا ولا امرأة، ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة أو بقرة ولا بعيرا إلا لمأكلة، وسوف تمرون على قوم قد فرَّغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرَّغوا أنفسهم له، وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام فإذا أكلتم منها شيئًا بعد شيء فاذكروا اسم الله عليه. وتلقون أقوامًا قد فحصوا أوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصائب فاخفقوهم بالسيف خفقًا، اندفعوا باسم الله».

إنها وصية رائعة رسم فيها خليفة المسلمين أبو بكر رضي الله عنه لقائد الجيش وجيشه منهج الإسلام بسماحته ورحمته فأمرهم ألا يخونوا ولا يغدروا فالإسلام لا يقر الخيانة ولا الغدر فهما خلقان ذميمان والله تبارك وتعالى لا يحب الخائنين، ثم نهاهم رضي الله عنه عن الغلول وهو أخذ شيء من الغنيمة قبل قسمتها، وقد توعد الله من فعل ذلك حيث قال: ﴿**ومن يغلل يأت بما غلَّ يوم القيامة**﴾.

وبعد ذلك نهاهم إن أظهرهم الله على عدوهم أن يمثلوا بأحد من قتلاهم أو يقتلوا أطفالهم أو شيوخهم أو نساءهم. فهل عرفت الإنسانيةُ في تاريخها الطويل مثل هذا التعامل الرفيع الذي يُفيض رحمة وشفقة؟

ثم أين المتهجمون على الإسلام بجهل أو بغير جهل من هذه المثل العليا التي لم تقدر البشرية على تحقيقها في أوج تقدمها الحضاري؟

ولم تقتصر تلك الرحمة على الجنس البشري بل تعدته إلى الجماد من شجر ونحوه فأمرهم ألا يقطعوا الشجر المثمر لكي يستفاد من ثمره وظله وألا يحرقوه تنكيلاً بعدوهم. فالعاطفة لا ينبغي أن تطغى على العقل حتى في أحرج المواقف وأشدها صلابة.

كـذلك أوصـاهم بعدم الإسراف والتبـذيـر فطلب منهم ألا يذبحـوا من الحيوان شيئًـا إلا ما احتيج إلى أكلـه . أما مـا سوى ذلك فـلا، ثم أخبرهم بأنهم سيمـرون على قـوم قد انقطعـوا في صوامع لهم للعبادة وتفرغوا لها فطلب منهم ألا يمسوهم بسوء .

بعد ذلك أوصاهم عندما يـؤتى لهم بطعام من طعام عدوهم في آنيتهم الخاصة ألا يأكلوا منه شيئًـا إلا بعد أن يذكروا اسم الله عليه ثم أخبر أنهم سوف يلقون قوما قد فحصوا أوساط رؤوسهم وتـركـوا عليهـا مثل العمائم فأوصـاهم أن يضربـوهم بـالسيف ضربًا .

لقد اشتملـت هذه الـوصية على مبادئ رفيعـة وأسس ثـابتة تصلح أن تكـون منهجًـا يسير عليه المتحـاربـون في أرقى الأمم حضارة، وأكثـرها تقـدما، ومـا أحوج العـالم المتحضر اليوم إلى مثل هذه الوصايا القيمة لترسم له الطريق الصحيح المنطلق من أسس الإسلام الراسخة، ونهجه القويم وأخلاقه الرفيعة . .

(٢٦) ليلة القدر خير من ألف شهر

يقول تعالى: ﴿**إنا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر، ليلة القدر خير من ألف شهر، تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر سلام هي حتى مطلع الفجر**﴾.

وصح عن الرسول ﷺ أنه قال: «من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه». متفق عليه.

ولو لم يكن في شهر رمضان إلا ليلة القدر لكفاه فضلاً وفخرًا مع ما فيه من الفضائل، ففي هذا الشهر أُنزل القرآن الكريم هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، وفيه ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، وفي هذه الليلة من ليالي هذا الشهر المبارك بدأ الاتصال بين الأرض والملأ الأعلى ليلة بدء نزول القرآن على قلب محمد ﷺ ليلة ذلك الحدث العظيم لم تشهد الأرض مثله في عظمته، وفي دلالته، وفي آثاره في حياة البشر جميعًا..

وفي هذه الليلة يفرق كل أمر حكيم.. ﴿**إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم**﴾.

ابتدأ الله إنزال القرآن الكريم في رمضان ﴿**شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن..**﴾ وبالتحديد في ليلة القدر ﴿**إنا أنزلناه في ليلة القدر**﴾ ﴿**إنا أنزلناه في ليلة مباركة**﴾ أنزل الله الكتاب العزيز في هذه الليلة العظيمة هذا الكتاب الذي من استمسك به نجا،

ومن اعتصم به هدي إلى الطـريق المـستقيم هذا الكتاب العظيم شهدت نزوله تلك الليلة العظيمة فصارت خيرًا من ألف شهر، والصالحون الموفقـون للخير يستقبلون هـذا الشهر وتلـك الليالي وهذه الليلـة بفرح كبير وسعادة عظيمة، يستقبلـون تلك الليالي بالقيام إيمانًا واحتسابًا يبتغـون ما عند الله من الفضل، ويرجون ما عنده من الرحمة والمغفرة «من قـام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقـدم من ذنبه» متفق عليه. . «ومن قام ليلـة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه». . متفق عليه.

ما أرحمك يا الله، وما أكرمـك، ليلة واحدة تعدل في فضلها ألف شهر ؟ وهـذا مما تتحير فيه الألباب، وتندهـش له العقول حيث منَّ الله تعالى على هـذه الأمة الضعيفة القوة والقـوى بليلة يكون العمل فيها يقابل ويزيـد على ألف شهر عمر رجل معمَّر تجاوز الثمانين من عمره.

وسميت ليلة القـدر لعظم قدرها وعظم فضلهـا عند الله. . والليلة من العظمة بحيث تفوق حقيقتُها حدود الإدراك البشري فهي ليلة عظيمة باختيار الله لها لبدء تنزيل هذا القرآن وهي ليلة عظيـمة لكـونها خير من ألف شهـر، وهي ليلة عظيمـة لتنـزُّل الملائكـة فيها ومعهم جبريل عليـه السـلام، وهي ليلة عظيـمة

فهي ليلة فرقان ﴿فيها يفرق كل أمر حكيم﴾. وهي إلى مطلع الفجر سالمة من كل آفة وشر لكثرة خيرها.. وفي ليلة القدر يقدِّر الله ما يكون في العام من الآجال والأرزاق والمقادير..

وقد عرف المصطفى ﷺ قدر هذه الليلة ومقدار فضلها فكان ﷺ إذا دخل العشر شد مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله.. (رواه البخاري).

وكان يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيرها..

وهذه أم المؤمنين عائشة بنت الصديق رضي الله عنهما تسأل رسول الله ﷺ عن الدعاء المناسب في تلك الليلة المباركة تقول: «قلت: يا رسول الله إن علمت أيَّ ليلة ليلة القدر ما أقول فيها؟ قال: قولي: اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني» رواه الترمذي.

وقيام هذه الليلة سبب في غفران ما تقدم من ذنوب العبد.. «من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه» متفق عليه.

وقد أخفى الله هذه الليلة لكي يجتهد العباد المخلصون الراغبون في فضل الله وكرمه في العبادة ويحرصون على تلمسها.. يقول الرسول ﷺ: «تحروا ليلة القدر في الوتر من

العشر الأواخر من رمضان»، ويكون إحياء هذه الليلة بالصلاة والذكـر والدعاء والاستغفـار وقراءة القرآن وكل أنـواع العبادات والطاعـات. فمن وفق لتلك الليلة فقد سعـد سعادة لن يشقى بعدها أبدا إن شاء الله ومن حرمها فقد حرم الخير كلَّه، ولا يحرم خيرَها إلا محروم..

نسأل الله أن يوفقنا لليلة القدر، وأن يرزقنا التوفيق والسداد؛ إنه سميع مجيب.

(٢٧) ما ينفع العبد بعد الموت..

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال :

«إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له . . » رواه مسلم.

وعنه ﷺ أنه قال : «إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علمًا علَّمه ونشره، أو ولدًا صالحًا تركه، أو مصحفًا ورَّثه، أو مسجدًا بناه، أو بيتًا بناه لابن السبيل، أو نهرًا أجراه، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته تلحقه من بعد موته . . » رواه ابن ماجة وابن خزيمة .

الموت هو نهاية كل حي، وللإنسان في هذه الحياة أجل محدود إذا جاء لا يتأخر ولا يتقدم، والحكمة من خلق الإنسان في هذه الحياة بينها الحق عز وجل بقوله ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** . .﴾ ومطلوب من العبد في هذه الحياة أن يجتهد في عبادة ربه وأن يسعى قدر جهده للعمل الصالح وتحصيل الأجر والثواب من الله عز وجل ﴿**وتزودوا فإن خير الزاد التقوى** . .﴾ فالدنيا دار ممر والآخرة هي دار القرار، ولذا ينبغي أن يتزود العاقل من دار ممره لدار قراره ما دام في سعة من الوقت وعليه أن يحرص على رفع رصيده في الآخرة من الأعمال الصالحة

فاليـوم عمل ولا حساب، وغدًا حسابٌ ولا عمل. . وبـانتهاء عمـر الإنسـان من هـذه الحيـاة وانتقالـه للـدار الآخـرة تطـوى صحـائف عملـه وينقطع عمله إلا أن المولى عـز وجل الـرحيم بعباده اللطيف الخبير قد أوجد بعض القنوات الموصِّلة بين العبد بعد موته وبين أجـر بعض الأعمال الصالحة فإن ثوابها يصل إليه بعد موته. .

ومن ذلك دعاء الولد الصالح وأجـر الصدقة الجارية وثواب نشر العلم النافع بين الناس. .

ومـا ذلك إلا ليتنافس عبـاد الله الصالحون في تحصيل الأجـر من الله بالتزود من الأعمال الصالحة والتقرب إلى الله باتباع أوامره واجتنـاب نواهيـه هـذا في حـال حياتـه ﴿**وفي ذلك فليتنـافس المتنافسون**﴾.

ويتنافسـون أيضًا في العمل الجاد الـذي يضمن لهم استمرار حصول الثواب من الله والأجر بعد موته وانقطاع عملهم المباشر وذلك بأن يحرصوا على تـربية أولادهم وذريـاتهم تربية إسـلامية صحيحة على منهـج الله وشرعه ليكـونوا نماذج صـالحة وعناصر مؤثرة يلتزمون بكتاب الله ويتمـكون بسنة رسول الله. .

وهذه الاستقامة التي ينشـأ عليها الأولاد ستكون منفعتها لهم

ولـوالديهم أيضًـا؛ وذلك لكونهم سيقـومـون بالـدعاء لهم بعـد مـاتهم، وسوف يصل هـذا الدعـاء إليهم ويـزيد رصيـدهم في الآخرة من الثواب والأجر.

النوع الثـاني الذي يصل ثـوابه إلى الميت بعد مـوته (الصـدقة الجارية) كأجر بناء مسجد، وحفر الآبار، وشق الأنهار، ووقف المساكـن والدور على الفقراء والمحتـاجين وأبناء السبيـل، أو ما أخرجه المسلم في حياتـه في حال صحته وغير ذلك. . فإن أجر الأعمال يعود إلى الميت بعد مـوته وانتقاله من الـدنيا إلى الآخرة. وقـد ورد في الحديث أن النبي ﷺ قال: «مـن بنى بنيانًـا في غير ظلم ولا اعتداء، أو غرس غرسًا في غير ظلم ولا اعتداء إلا كان له أجر جار ما انتفع به أحد من خلق الرحمن».

وذكر البخاري من حديث جابر مرفوعا «من حفر ماء لتشرب منه كبد حرّ من جن ولا إنس ولا سبع ولا طائر إلا آجره الله يوم القيامة».

النـوع الثالث ممـا ينتفع به العبـد بعد مـوته «علم ينتفع بـه» فـالعلم الـذي ينتفع به هـو العلم الـذي نشره في النـاس يبتغي بذلك وجه الله تعـالى فيقتدي به الناس من بعـده فهو من سعيه وعمله، وقـد ثبت في الصحيح قـوله ﷺ: «من دعـا إلى هدى

كـان له مـن الأجر مثل أجـور من اتبعـه من غير أن ينقص من أجورهم شيء . . » رواه مسلم .

وقد أوصى الـرسول ﷺ فقال : «سلوا الله علمًا نـافعًا وتعوذوا بالله من علم لا ينفع» . وفي المأثور من الـدعاء «اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع» .

والعلم النـافع هو العلـم بالله الـذي يـوجب خشيته ومحبتـه والقرب منـه والأنس به . . ثم يتلوه العلم بأحكام الله ومـا يحبه ويرضـاه من الأقوال والأفعال والاعتقاد . . قـال ابن عمر رضي الله عنهما : أهل العلم النـافع كلما ازدادوا في هـذا العلم ازدادوا تواضعًا لله وخشية وانكسارًا وذلاً .

هذه الأمور الثلاثة يصل بها الأجر إلى الميت بعد موته وانقطاع عمله فمـن رزقه الله ذريـة صالحة تدعـو له ، ومـن وفقه الله إلى تعلُّم العلم النافع وتعليمه النـاس ونشره فيما بينهم وشغل حياته بالتعليم والتأليف والفتيـا والتدريس فهو السعيد . ومن أعـانه الله على نفسه واستفـاد مما رزقه الله من مـال حلال حال حيـاته فأنفق منه في مشروعـات خيرة وأعمال نافعة فسيعـود ذلك عليه بالأجر والثواب بعد موته . .

نسأل الله عـز وجل أن يجعلنـا من المتقين ، وأن يرزقنـا ذريـة صالحة وعلمًا نافعًا ؛ إنه سميع مجيب .

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يُحذيك وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحا طيبًا، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه، ريحا منتنة». رواه البخاري ومسلم.

الإنسان اجتماعي بطبعه يحب الاختلاط مع بني جنسه ولكل إنسان مجموعة من البشر يأنس بهم ويسعد بالحديث معهم ويقضي جل وقته معهم سواء كانت هذه المجموعة من سكان حيه أو زملاء دراسته أو من معارفه أو زملائه في الوظيفة. يصطفى ذلك الفرد أو تلك المجموعة لصحبته وصداقته. والناس صنفان صنف من أهل الخير والصلاح والتقي والعفاف والفضل والاستقامة؛ وصنف والعياذ بالله من أهل السوء والفساد والشر والانحراف حياتهم لاهية عابثة. .

وقد أمر الإسلام الفرد المسلم أن يصطفى من الناس خيارهم، وأن يحذر شرارهم «فالمرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل. .»

ورحم الله الشاعر حيث يقول

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه

فكل قرين بالمقارن يقتدى

وللصاحب والصديق تأثير كبير على سلوك صاحبه وأخلاقه وأفكاره فإن كان ذلك الصاحبُ صالحا فإن سوف يؤثر على صديقه وقرينه وسيكون هذا الصاحب صورة من صاحبه يحاكيه في استقامته وصلاحه .

أما إن كان ذلك الصاحب سيئًا فاسدًا فإن هذا الفساد سيسرى منه إلى صاحبه وسيؤثر فيه لا محالة .

لذا حذر الإسلام من قرناء السوء ورفاق الشر والفساد قال تعالى : ﴿**ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً يا ويلتىٰ ليتني لم أتخذ فلانًا خليلاً لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولاً**﴾ . وجاءت «فلانا» بالتنكير ليشمل كل صاحب سواء يصد عن سبيل الله ويُضل عن ذكره . . لقد كان شيطانًا يضل أو هو عون للشيطان وترى ذلك الصاحب النادم يعض على كلتا يديه من شدة الندم والأسف والأسى . وما أضله إلا صاحب سوء هناك . وترى في الدنيا من تقوم علاقتهم على أسس فاسدة ومصالح عاجلة يجمعهم الفساد والسوء ترى هؤلاء في الآخرة وقد تحولت صداقتهم إلى عداوة «الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين» . لقد كانوا في الحياة الدنيا يجتمعون على الشر ويملى

بعضهم لبعض في الضلال. فاليوم يلقى بعضهم على بعض تبعة الضلال وعاقبة الشر، واليوم ينقلبون إلى خصوم يتلاحون من حيث كانوا أخلاء يتناجون.. أما المتقون الذين قامت علاقتهم في الدنيا على الحب في الله فهؤلاء مودتهم باقية فقد كان اجتماعهم على الهدى، وتناصحهم على الخير وعاقبتهم إلى النجاة. ويأتي في ذلك الموقف نداء الحق عز وجل لهم ﴿**يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون**﴾.

وقد صور الرسول ﷺ الجليس الصالح وجليس السوء في الحديث الذي افتتحنا به هذا الموضوع تصويرًا رائعًا. فالجليس الصالح هو الذي ترتاح إليه نفسك ويطمئن به فؤادك وتنتعش روحك تطرب لحديثه وتنعم بمجالسته وتسعد بصحبته إنه عُدَّةٌ في الرخاء وزينة في الشدة، وراحة النفس وتبسم الفؤاد، وقد شبهه الرسول صلوات الله وسلامه عليه ببائع الطيب الذي ينفحك بعطره ويغمرك بنشره فإما أن يهديك وإما أن تجد عنده ريحا طيبة أو أنك تبتاع منه فأنت معه في ربح دائم وفائدة مضمونة ومصلحة ظاهرة..

يقول الشاعر:

اصحب خيـار النـاس أين لقيتهم
خير الصحـابـة من يكـون ظـريفـا
والنـــاس مثـل دراهـم ميـــزتها
فـــرأيت فيهـــا فضـــة وزيـــوفـــا

أما جليـس السوء فليس هناك أبلغ من تشبيهه بالحداد الذي ينفخ بكيره فأنت معه في خسـارة دائمة لا ربح فيهـا مطلقا فإن سلمت من أن تحرقك نـاره أو تطير منـه شرارة فتـؤذيك لم تسلم من تلك الرائحة الخبيثة المنبعثة من أثر فعل الكير في النار فأنت معه في هم دائم وحزن لازم وضرر مؤكد وخسارة فادحة .

يقول أبو حاتم البستي : الواجب على العاقل أن يستعيذ بالله من صحبـة من إذا ذكـر الله لم يعنه ، وإن نسي لم يـذِّكـره ، وإن غفل حـرَّضـه على ترك الـذكـر . . وقال : العـاقل لا يصـاحب الأشرار؛ لأن صحبـة صـاحب السـوء قطعـة من النـار تعقب الضغائن لا يـستقيم وده ولا يفي بوعده . .

هذا هو الصديق الصـالح وصديق السوء وعلى المرء أن يختار وأن يصـطفى من الناس من يكون له عـونا وذخرًا وسندًا . . وكم من رجل ضل وهلك بسبـب رفقـاء السـوء أوقعـوه في كثير من المحرَّمات ، وزينـوا له بعض الموبقات فصار أسير شهـوته وعبد هواه . .

(٢٩) الـــوداع..

في هذا اليوم نـوشك أن نودع شهر رمضان المبـارك فلعل هذا اليوم آخـر أيام هذا الشـهـر الكريم الذي عشنـا فيه أيامًـا ممتعة وليالي سعيـدة عشنا في أجـوائه الإيمانية المشرقة ورحـابه القـرآنية المضيـئـة، عشنـا أيامـا من أجمل الأيـام وأمتعهـا يقطع المؤمنـون الصادقون أيـامه بالصيام ومتعـة التلاوة ولياليه بـالقيام وحلاوة الـذكـر. . استثمره الموفقـون فأحسنـوا استغـلالـه وتاجـر فيـه الصـالحون فـربحـوا في التجـارة وخسر فيـه المسرفـون أعظم خسارة. .

النـاس في رمضـان فـريقـان: فـريق وفقـه الله إلى الطـريق الصحيح فشمرَّ واجتهـد واغتنم كل لحظة في هذا الشـهـر، ليله قيـام وذكـر وتسبيح وتهليل، ونهاره صيـام وقـراءة وعمل واجتهـاد. . حفظـوا صيـامهم من اللغـو والصخب وحفظـوا جوارحهم من كل منكر أو فحش. . حـافظوا على صلواتهم مع جماعـة المـلمين في أوقـاتها وأدوا زكـاة أمـوالهم وتصـدقـوا على الفقراء والمحتـاجين فخرجـوا من هذا الشـهـر سعداء مسرورين يسألون الله القبول والغفران. .

وفريق آخر فرط وضيَّع أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني قضى وقته في اللهو واللعب نـام نهاره من أوله إلى آخره، وقضى

ليله في اللعب أو العكوف على ما لا ينفعه في دينه وأخراه غلبه الهوى وأضله الشيطان . . ﴿**إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا** . .﴾

وبعد أن أفاق من غفلته وصحا من نومه وجد موسم الخير قد ولَّى وفات ولم يجد من وراء تفريطه وكسله وتسويفه إلا الخسران المبين . .

لقد خرج المحسنون في هذا الشهر والمغتنمون لأوقاته بالربح العظيم والثواب الجزيل والأجر الكبير ضاعفوا رصيدهم من الحسنات ففازوا وربحوا .

أما المفرطون في هذه المواسم فقد خرجوا بخسارة فادحة وندم عظيم ونحن نعيش آخر أيام هذا الشهر نقول لهؤلاء وهؤلاء ؛ نقول للموفقين المحسنين ، ونقول للمفرطين . . نعم ، انقضى شهر رمضان شهر الصيام والقرآن والعبادة ، ولكن الله عز وجل جعل للمسلمين مواسم متتالية طوال العام يتزود منها المتقون ويضاعف فيها الصالحون رصيدهم ويراجعون أنفسهم . فنحن نخرج من رمضان ونلج في الأشهر الحرم سيدخل علينا موسم الحج وما فيه من أيام عظيمة . . عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «ما من أيام العمل الصالح فيها

أحب إلى الله من هذه الأيـام . يعني : أيام العشر قالوا يـا رسول الله : ولا الجهـاد في سبيل الله قـال : ولا الجهـاد في سبيل الله إلا رجل خـرج بنفسـه ومـالـه فلم يـرجع من ذلك بشيء . . » رواه البخاري . وسئل رسول الله ﷺ عن صوم يوم عرفة فقال : يكفر السنة الماضية والباقية . . رواه مسلم

فهذا موسم يلي شهر رمضان كما أعطانا الله هذا اليوم العظيم يوم الجمعة الـذي يتكرر علينا كل أسبوع وهـو من أفضل الأيام وأعظمها فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «خير يـوم طلعت عليـه الشمـس يوم الجمعـة ، فيـه خلق آدم ، وفي أدخل الجنة ، وفيه أخرج منها . . » رواه مسلم .

وفي يوم الجمعة ساعة لا يـوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله شيئًـا إلا أعطـاه إيـاه . . متفق عليـه . . وفي حـديث آخر: قـال رسول الله ﷺ : «إن من أفضـل أيامكم يـوم الجمعة فأكثـروا عليّ من الصلاة فيـه فإن صلاتكم معروضـة علي . . » رواه أبو داود .

فتكرار المواسم وتتـابعها من رحمة الله بنا وإحسانـه إلينا حتى يجد المسلم الراغب في التزود من البر والتقوى الفرصة أمامه . .

وأقـول أيضًـا للفريقين المحسنين والمفـرطين في هـذا الشهـر

الكريم:

إن كنا اليوم نودع شهر رمضان فإننا لا نودع الصيام، ولا نودع القيام ولا نودع القرآن ولا الذكر. فالصيام ليس مرتبطا بشهر رمضان فقط فللمسلم أن يصوم في أي وقت شاء عدا أوقات محددة بينها الشرع بل إن الشرع حثنا على صيام أيام معينة ورتب على ذلك أجرًا عظيما وثوابًا كبيرًا. فقد سئل الرسول ﷺ عن صيام يوم عاشوراء فقال: يكفر السنة الماضية.. رواه مسلم. وقد صامه الرسول صلوات الله وسلامه عليه وأمر بصيامه.. وأمر الشرع بصيام ستة أيام من شوال؛ فعن أبي أيوب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من صام رمضان ثم أتبعه ستا من شوال كان كصيام الدهر..» رواه مسلم..

ويسن أيضًا صيام يومي الاثنين والخميس من كل أسبوع تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: كان الرسول ﷺ يتحرى صوم الاثنين والخميس.. رواه البخاري.

كما يستحب صيام ثلاثة أيام من كل شهر، والأفضل صومها في الأيام البيض وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «أوصاني خليلي ﷺ بثلاث: صيام ثلاثة أيام من كل شهر، وركعتي الظهر، وأن أوتر قبل أن

أنام» . . متفق عليه .

وفي الحديث : «صوم ثلاثة أيام من كل شهر صوم الدهر . . » متفق عليه . .

وسبق أن أشرنا إلى فضل صيام يوم عرفة . .

من هذا يظهر أن الصيام غير خاص بشهر رمضان فقط بل إنه مستحب في أزمنة أخرى وللصائم فيها أجر عظيم وثواب كبير . .

كذلك فإن القيام ليس مقصورًا على ليالي شهر رمضان المبارك فللمسلم أن يقوم من الليل ما شاء الله له أن يقوم وله بذلك جزيل الثواب وقد كان الرسول صلوات الله وسلامه عليه يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه فلما سئل قال : أفلا أكون عبدًا شكورًا؟ . .

وعن سالم بن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهم قال : قال رسول الله ﷺ : نعم الرجلُ عبدالله لو كان يصلي من الليل : قال سالم : فكان عبدالله بعد ذلك لا ينام من الليل إلا قليلاً . . متفق عليه .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد

الفريضة صلاة الليل . . رواه مسلم .

فقيام الليل إذًا ليس مقصورًا على شهر رمضان المبارك بل هو مستحب طول العام كذلك الأمر بالنسبة للقرآن الكريم فإن رمضان هو شهرالقرآن ولكن أمر تلاوة القرآن والاهتمام به ليس مقصورًا على شهر رمضان فقط بل المطلوب من المسلم أن يعيش مع القرآن دائمًا وأبدًا تلاوة وتدبرًا وامتثالاً، فقد ورد في الحديث الصحيح : «خيركم من تعلم القرآن وعلمه . . » رواه البخاري، وفي حديث آخر: «اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه . . » رواه مسلم

وهذا في كل وقت وحين ليس خاصا بزمن معين . .

وكذلك عمارة المساجد بالمصلين والذاكرين والتالين والخاشعين فإن هذه الأمور ليست خاصة بشهر رمضان المبارك ولكنها مطلوبة من المسلم كل وقت .

فالمطلوب إذًا من الفريق الذي وفقه الله لاغتنام هذا الشهر المبارك أن يستمر في استثمار فرص الخير وزيادة رصيده من الحسنات والأعمال الصالحة، وألا يفتر أو يضعف كما أن عليه أن يحمد الله الذي وفقه لعمل الخير. .

أما الفريق المفرط فواجبه أن يجد ويجتهد في اغتنام الفرص

لتعـويض ما فـاتـه من صالح الأعمال نتيجـة كسلـه وتسويفـه وتواكله . . ﴿**إن الحسنات يذهبن السيئات**﴾ .

نسأل الله عز وجل أن يتقبل منـا صيام شهر رمضان وقيـامه كما نسأله أو يوفقنا لصالح الأعمال ؛ إنه سميع مجيب .

الموضوع	رقمه	رقم الصفحة
لعلكم تتقون	١	٧
شهر القرآن	٢	١٠
بركة السحور	٣	١٤
الصوم المعنوي	٤	١٧
الدعاء هو العبادة	٥	٢٠
أفلا أكون عبدًا شكورًا	٦	٢٤
حلاوة الإيمان	٧	٢٧
وبالوالدين إحسانًا	٨	٣٢
ليقل خيرًا أو ليصمت	٩	٣٦
فليصل رحمه	١٠	٤٠
ومسؤول عن رعيته	١١	٤٥
انفروا خفافًا وثقالاً	١٢	٤٩
أفشوا السلام بينكم	١٣	٥٤
إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة	١٤	٥٨
لئن شكرتم لأزيدنكم	١٥	٦٢

الموضـوع	رقمه	رقم الصفحة
إن الله مع الصابرين	١٦	٦٧
الحياء خير كله	١٧	٧٢
مفهوم العبادة في الإسلام	١٨	٧٧
إنك لعلى خلق عظيم	١٩	٨٢
كن أقرب الناس إلى الله	٢٠	٨٦
الوقت في حياة المسلم	٢١	٩٠
الدنيا متاع الغرور	٢٢	٩٥
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	٢٣	٩٩
الزكاة . . نماء وتطهير.	٢٤	١٠٣
اندفعوا باسم الله	٢٥	١٠٨
ليلة القدر خير من ألف شهر	٢٦	١١١
ما ينفع العبد بعد موته	٢٧	١١٥
حامل المسك ونافخ الكير	٢٨	١١٩
الـوداع	٢٩	١٢٣